الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة
وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
جامعة قاصدي مرباح – ورقلة –
كليّة الآداب واللّغات
قسم اللّغة والأدب العربي

الحوار وخصائص التفاعل التواصلي

في مسرحية الليلة الأخيرة لفرحان بلبل

ـ دراسة تداولية ـ

مشروع انجاز مذكرة من متطلبات نيل شهادة الماستر

تخصص أدب مسرحي ونقده

اللجنة المناقشة

الأستاذ	الجامعة	الصفة
أحمد التجاني سي كبير	جامعة ورقلة	مشرفاً ومقرراً
أحلام معمري	جامعة ورقلة	رئيساً
كلثوم مدقن	جامعة ورقلة	مناقساً

إعداد الطالبة: سارة عشي
اشراف الدكتور: أحمد التجاني سي كبير

الموسم الجامعي: 2016 / 2017

مقـدّمـــة

لا يخفى على أحد أهمية الحوار في الحياة عموما وفي الأعمال الفنية السردية خصوصا وفي المسرح بالخصوص، ويعد الحوار أحد أهم مكونات البنية الفنية للمسرحية، ويمتاز الحوار بمستويين أساسيين وهما:

المستوى اللساني بمكوناته المعجمية والتركيبية والدلالية من جهة.

والمستوى خارج اللساني والمتعلق بالمقامية والنفسية والثقافية من جهة أخرى.

وسنحاول في هذا البحث الكشف عن مكامن الحوار التواصلية والتداولية في مسرحية الليلة الأخيرة لفرحان بلبل.

إن الحوار يعد أحد أهم مرتكزات الحياة من جهة وهو أهم عناصر البناء النصي وخاصة في الأعمال السردية وعلى رأسها المرسرح، فالحوار دعامة النص المسرحي وعموده الفقري، ولا يمكن أن تنهض فكرة العمل بدون حوار، لذا فأهمية الحوار في المسرح بالتحديد بالغة الأهمية وعليه كان لزاما لفهم المحتوى النصي من تحليل الحوار بأدق تفاصليه ومن كل جوانبه، وخاصته أبعاده التواصلية والتداولية التي تتعدى المعطى المعجمي والتركيبي وحتى الدلالي والتاريخي والفلسفي إلى الرمزي المقامي والحجاجي التواصلي.

وهناك جملة من الدوافع التي شدتني للتعلق بهذا الموضوع منها الذاتي ومنها الموضوعي، أما عن الأولى فرغبتي في معرفة خلفيات الحوار المتداخلة وأبعاده المترامية الأطراف والمتداخلة فيما بينها، فالحوار يكتسي أمية بالغة في حياتنا اليومية وفي كتاباتنا الفنية والأدبية، لذا كنت مولعة لفهم وفك شفراته التواصلية المكثفة.

أما بالنسبة للموضوع فهو مجال بكر لازالت الدراسات وخاصة العربية لم تقطع فيه شوطا كبيرا، وعليه فقد انتابني الفضول لفهم هذا الموضوع من جانبيه التواصلي والتداولي فقتحمت هذا المجال بهذا البحث المتأني.

وكانت الإشكالية التي أسعى لاستقصائها في هذا البحث تتجلى في السؤال الجوهري التالي: ما هي مكامن الحوار التواصلية والتداولية في مسرحية الليلة الأخير لفرحان بلبل؟ وما هي أهم الخصائص التواصلية والتداولية له؟

وتعد هذه الإشكالية الأساسية رافد لتفرعات تساؤلية أهمها:

- ما هي أبعاد التواصل الترميزي؟ وما هي أبعاده الحجاجية؟
- ما الدور الذي يلعبه السياق في تحميل الحوار دلالته التداولية المقامية والمرجعية؟

وقد اعتمدت خطة للاجابة عن تساؤلات الاشكالية وكانت كالتالي:

مدخل تطرقت فيه لمفهوم الحوار وأبعاده التواصلية والتداولية ثم الفصل الأول: الاي عنونته المقاربة التواصلية للحوار في مسرحية الليلة الأخيرة يتكون من خمسة مباحث عاجت فيها أهم المقاربات التواصلية للحوار في مسرحية الليلة الأخيرة وهي كالتالي:

المبحث الأول: ميكانيزمات الحوار والمبحث الثاني: التقابل والتكامل والمبحث الثالث: المضمون والعلاقة والمبحث الرابع: الميتاحوارية والمبحث الخامس: الإنتاج والتأويل.

أما الفصل الثاني: فقد عنونته بالمقاربة التداولية للحوار في مسرحية الليلة الأخيرة وهو أيضا يتكون من خمسة مباحث تطرقت فيه لأهم المقاربات التداولية للحوار في مسرحية الليلة الأخيرة وهي كالتالي المبحث الأول: الاستعمال التداولي للغة والمبحث الثاني: التعددية السياقية والمبحث الثالث: خاصية التضمين والمبحث الرابع: مبدأ الاختلاف والمبحث الخامس: مفهمة الإنسان للعالم.

وقد حتمت علينا الدراسة اتباع المنهج التداولي بآليتيه **التواصلية والحجاجية** التي نحاول من خلاله اقتحام مكامن الحوار التواصلية والتداولية وتحديد خصائصهما، من خلال التطبيق المباشر على مسرحية الليلة الأخيرة، وقد كان تعاملنا مع المفاهيم النظرية وتطبيقها مباشرة على المسرحية واستخلاص الحوار ودوره والياته التواصلية والتداولية من النص المسرحي لمسرحية الليلة الأخيرة.

وقد اعتمدة على جملة من المراجع أهمها:

- محمد نظيف، الحوار وخصائص التفاعل التواصلي دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية، دار افريقيا الشرق، 2010.
- مانفريد فرانك، حدود التواصل، تر: عز العرب الحكيم بناني، الدار البيضاء، 2002
- J.Habermas,L'Ethique de la discussion ,Trad . M.Hungadi ,Paris, 1992
- آن روبول.جاك موشلار. التداولية اليوم. ت: سيف الدين دغفوس. د. محمد الشيباني. بيروت: المنظمة العربية للترجمة. ط1، 2003.
- اوزوالد ديكرو: جان ماري شايفير. القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان. ت. د. منذر عياشي. بيروت: المركز الثقافي العربي. 2007.
- ديكرو أزولد، جان ماري سشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم الإنسان، ت: د.منذر عياش، بيروت: المركز الثقافي العربي، 2007 .
- فإن دايك. النص والسياق. استقصاء الحدث في الخطاب الدلالي والتداولي. ت : عبد القادر قنيني، الدار البيضاء. أفريقيا الشرق، 2000.

وكأي بحث قد صادفتنا العديد من المثبطات والعراقيل ولكننا مضينا قدما في هذا البحث وأهم هذه الصعوبات قلة المراجع وتداخل امفاهيم التواصلية والتداولية.

كما أشكر كل من ساهم معي من قريب أو من بعيد لانجاز هذه العمل وأخص بالذكر صديقتي راضية، وزوجي، وأستاذي المشرف الدكتور أحمد التجاني سي كبير الذي لم يبخل علي بالنص والإرشاد والتصحيح فجازاه الله عني كل خير والحمد لله رب العالمين.

مدخل[1]: مفهوم الحوار وأبعاده التواصلية والتداولية

إن تحليل الحوار على المستويين (المستوى اللساني بكل مكوناته المعجمية والتكريبية والدلالية من جهة والمستوى الخارج – لساني Extra-linguistique بكل مكوناته المقامية والنفسية والثقافية من جهة ثانية) يطرح اشكالاً منهجياً من الناحية العلمية ذلك لأن الحوار يتضمن تفاعلاً تواصلياً Communicationnelle Interaction يحتضن خصائص تواصلية وخصائص تداولية.

ونجد أن الخصائص التواصلية للحوار « تتعدى **التواصل الترميزي** لتنبني على مقتضيات التواصل الاستدلالي لأن التواصل الاستدلالي هو ما يمكننا من افراز خصائص تفاعلية الخطاطات **المتاحوارية** الدقيقة أما مبحث التواصل يمكننا من الوقوف على مجمل **الخصائص التفاعلية** لأنه مبحث يفحص آليات الحوار ويسجل العناصر التي تتدخل في مجرياته بما فيها المستوى اللساني والخارج – لساني والكفايات وخاصيتي الانتاج والتأويل.

كما يسجل هذا المبحث الحالات التي يصير اليها التفاعل التواصلي من تنازع وتراض وإجماع حسبما يؤول اليه التبادل الحجاجي Echange argumentatif بين أطراف الخطاب، ويطرح هذا المبحث العنصر المقامي ودور المكانة الاجتماعية والثقافية والعلمية لأطراف العملية الحوارية في مدى مقبولية الحجة أو رفضها»[2].

---

1 ينظر: محمد نظيف، الحوار وخصائص التفاعل التواصلي دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية، دار افريقيا الشرق، 2010، ص27.

2 المرجع نفسه، ص27.

وحضور الكفايات لدى أطراف الحوار يعطي دفعاً لعملية التفاعل التواصلي ليصل به إلى مستويات استدلالية معرفية يقينية ثابتة، تعتمد في تأسيسها على خاصيتي الانتاج والتأويل كسيرورتين أساسيتين لرصد كل المضامين الحوارية.

أما الخصائص التداولية التي تميز التفاعل التواصلي فتبتدئ « بالتعدد السياقي الذي يميز الأقوال مما يجعل القائلين لا يقفون عند القصد الاخباري للأقوال بل يتعدون ذلك إلى معاني سياقية[1] تداولية تحكم العلاقة بين أطراف الخطاب، لذلك تلعب مسألة السياق Contexte دوراً هاماً التمكين من تقطيع الوحدات الحوارية الكبرى»[2].

كما أن التعدد السياقي الذي يؤطر الحوار دائما يرتبط بمفهوم تداولي آخر هو الملاءمة[3] La pértinence التي تعتمد على مبدأ التعاون والتي تعتبر عقداً تواصلياً بين أطراف العملية الحوارية يفرض علينا الأخذ بالسياق كمعطى تداولي يقوم بعملية الانصهار الحواري التي يتم فيها اسناد الدور التلفظي لممثل الخطاب، والملاءمة بذلك تهدف لتأطير الكفاية المعرفية للمتواصلين حتى تسير وفق ما يقتضيه المقام، ويعد الحجاج

---

1 ـ **السياق المرجعي Contexte réferentiel** الذي يحدد العلاقة بين العلامات ومراجعها حتى يتمكن المحلل من الوقوف على العناصر المرجعية للحوار.

والسياق المقامي Contexte Situationnel الذي يشكل جزءا من البواعث الاجتماعية الفاعلة في الخطاب الحواري، وهي بواعث تؤطر الحوار ليسير وفق حدود واضحة، لأن التغطية المقامية للحوار تساعد في تفسير الكثير من مجرياته ومساراته، وهو ما يدفع لطرح السؤال عن مدى استجابة السياق المقامي لتفسير بعض المضامين الحوارية الغامضة.

أما السياق التفاعلي Contexte interactionnel فهو الذي يمس المتحاورين ومضمون الحوار، إذ يبين مدى إدراك الموضوع الحواري من طرف المتحاورين ومدى انسجامهم مع القضايا المطروحة فيه وهو ما يطرح اشكالية: مدى مساهمة السياق التفاعلي في تطوير المضامين الحوارية.

2 طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، 2000، الدار البيضاء المغرب، ط2، ص88.

3 جورج يول، التداولية، تر، قصى العتابي، ط1 ، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت،2010 ، ص48.

Argumentation محلا مهما للتفاعل الحواري باعتباره يهدف للتأثير على المعتقدات والسلوكات معا، كما أن مبدأ الاختلاف الذي يعتبر حقيقة انطلوجية مسؤولة عن خلق أسباب الحوار وتوسيعه وتثمينه مما يطرح معه مدى أهمية الاختلاف في خلق الإبداع الففكري ودفع عجلته قُدُماً.

وإضافة إلى ذلك فإن « حقيقة المفهمة Conceptualisation التي تعني تحويل العالم الى ابداعات تفسيرية اي مادة حوارية بين الناس، مما يطرح العلاقة بين **المفهمة والاستعمال والاختلاف ثم هناك قصدية الأنا** Intentionnalité de je – المسؤولية عن اختلافات اللغات الفردية وانبثاق المتلفظ Enonciateur المؤسس للعلاقة الحوارية»[1].

والتفاعل الحواري كظاهرة تواصلية يتضمن عناصر مهمة أهمها المعتقدات التي يتم تفعيلها اثناء الحوار، والتي تتميز بتنافرها أو تقاربها بين أطراف الحوار، والإشكالية الكبرى التي تصادفنا هنا هي مدى قدرة الحوار على توجيه معتقدات المتحاورين نحو وجهة معينة لحصول التفاعل بين المشاركين فيما بينهم من جهة و المشاركين والمتتبعين من جهة ثانية.

ويعد المضمون أحد أهم الأسس والعناصر التي ينبني عليها أي حوار، ويفترض فيه أن يقدم شيئا غير مسبوق ليكون جديرا بالتتبع.

تعد هذه الاشكاليات والقضايا أهم الطرحات التي تنجم عن خصائص التفاعل التواصلي، لذا يستوجب دراسة متأنية والنظر فيها بعمق يقتضي الولوج من المضمون الحواري إلى المستوايات والقضايا الميتا حوارية والسياقية المقامية الخاصة بكل حوار.

---

1 محمد نظيف، الحوار وخصائص التفاعل التواصلي، ص27.

الفصل الأول:

المقاربة التواصلية للحوار في مسرحية الليلة الأخيرة

المبحث الأول: ميكانيزمات الحوار

المبحث الثاني: التقابل والتكامل

المبحث الثالث: المضمون والعلاقة

المبحث الرابع: الميتاحوارية

المبحث الخامس: الإنتاج والتأويل

تمهيد:

تمهيد[1]:

يشكل التفاعل التواصلي ماهية ومكونه الاساسي، إذ لا يخلو اي حوار فعال من تفاعل تواصلي بين أطرافه ومن أجل الوقوف على خصائص التفاعل التواصلي يتوجب الاستعانة بمقاربتين: المقاربة التواصلية و المقاربة التداولية.

من حيث المبدأ يتكون التفاعل التواصلي من مفهومين: مفهوم التفاعل interaction الذي يعني الفعل، وبذلك يكون معناه في الحوار هو المشاركة في الفعل ورد الفعل حول مضامين معينة، ومفهوم التواصل الذي يعني الحالة التي يصير اليها الحوار بين طرفين على الاقل، واضافة المفهومين الى بعضهما البعض يعطيهما حمولة جديدة ليدلا على كل العناصر التي تفيد المشاركة الحوارية في اطار تفاعلي تساهم فيه كل مكونات الحوار اللسانية والخارج لسانية.

هكذا يكون التفاعل التواصلي هو تبادل الاخذ والعطاء بين ممثلي الخطاب في سياق حواري يحكمه التعاون وينبني على الملاءمة، أما خصائصه فتوجد في ميكانيزمات الحوار التي تجدها في مكونات التواصل من خلال معانيه الاولى كما نجده في المفاهيم التداولية التي اطرت اشتغال الخطاب لدى المستعملين لذلك فإن خصائص التفاعل التواصلي تنقسم من حيث المبدأ الى خصائص تواصلية نجدها في المقاربة التواصلية للحوار، وخصائص تداولية نجدها في المقاربة التداولية للحوار.

---

1 اوزوالد ديكرو: جان ماري شايفير، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ت. د. منذر عياشي، بيروت: المركز الثقافي العربي. 2007، ص45. 47.

المبحث الأول: ميكانيزمات الحوار

I. خصائص التفاعل التواصلي من خلال المقاربة التواصلية:

1. المشاركة أول ميكانيزمات الحوار:

تحتضن ميكانيزمات الحوار الخصائص الأولى للتفاعل التواصلي وأول هاته الميكانيزمات هناك المشاركة التي تعتبر مكونا من مكونات مفهوم التواصل كما يسجل ذلك باتسون Bateson وكوفمان وأخرون: " تواصل communiques والتواصل communication ظهر المصطلحان في اللغة الفرنسية في النصف الثاني من القرن الرابع عشر، وكان الاساسي شارك في participer وهو جد قريب من اللاتينية communicare التي تعني جعل مشتركا وأن يكون في علاقة"[1].

فالمشاركة فبي الخاصية الاولى من خصائص التفاعل التواصلي وبها تنطلق ميكانيزمات الحوار، والمشاركة التي تفعل ارادة القول لدى اطراف الحوار هي المؤطرة لعناصر التفاعل بين ممثلي الخطاب، ولولاها ما انتظم اي تواصل فعال بين عناصر التواصل، ويشهد على ذلك أن المنظرين الانفي الذكر يزكون خاصية المشاركة بمعاني تلازمها حيث اشاروا: "حتى القرن السادس عشر كانت كلمتا تواصل والتواصل مصطلحين قريبين جدا من communier و communicare التي تعني مشاركة وحدة الشعور

---

1 La nouvelle communication Ed Seuil 1981 p : 13. نقلا عن: محمد نظيف، الحوار وخصائص التفاعل التواصلي

وتشاركه في الرأي وهما مصطلحان قديمان وهما منحدران ايضا من اللاتينية [1] communicare "

هكذا تضاف الى الخاصية الاولى للتفاعل التواصلي معاني جديدة تدعم هاته المشاركة وهي وحدة الشعور والتشارك في الرأى وهي معاني تبين ما تؤول اليه المشاركة اثناء التفاعل التواصلي من انصهار ممثلي الخطاب في تفعيل الهدف الاول وهو التشارك في الرأي.

كما يتضح من الحوار التالية في مسرحية الليلة الأخيرة:

«**الحاجب:** سبق الجيشَ وأسرع إلى هنا.
نور العيون: يحب المفاجآت.
دردبيس: (إلى نور العيون) تعالي واستعدي لهذه المفاجأة.
نور العيون: (إلى الحاجب) أرسل وراء القاضي.
الحاجب: حاضر.
نور العيون: بسرعة.
الحاجب: حاضر. حاضر. **(يخرج الحاجب مسرعاً)**
نور العيون: أين حيران؟**(يدخل حيران مسرعاً)**
حيران: حيران هنا. هنا.
نور العيون: استعد لاستقبال الملك »[2].

نلمس في هذا الحوار المتجانس وحدة الشعور والتشارك في الرأى بين الممثلين على اختلاف مستوياتهم وعلاقاتهم ببعض وذلك من اجل خدمة المصلحة العامة وخدمة الملك كما تبين نهاية الحوار.

وهذا والتشارك في الرأى بين الممثلين في الحوار نلمسه في باقي فصول المسرحية ولكن بصور مختلفة فمنها المتجانس ومنها غير التجانس.

---

1 المرجع نفسه، ص13.54 : p

2 سرحان بلبل، الليلة الأخيرة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، 2005، ص 12.

فما اتفق الممثلون فيه في الرأي فهو المتجانس وما اختلفوا في في موضوعه فيهو غير المتجانس.

2. خاصية الاجماع أو التنازع:

إن التشارك في الرأي هو نتيجة مباشرة لخاصية التفاعل وهو احدى الحالات التي يريد أن يصلها الحوار وقد وصفها **هابيرماس** بحصول الاجماع على اعتبار " أن السلوك التواصلي يخضع لدعاوي قبلية كلية بغية خلق الظروف المواتية للوصول الى الاجماع عبر صيرورة تبادل الحجج[1]".

الا هناك حالات التنازع التي جعلت "ليوتار يحصر مبحث التواصل في إطار حرب أهلية لغوية شاملة[2]" كما نجد ذلك في الحوار الموالي:

« **(تدخل نور العيون وقد لبست ثيابها الرسمية وتقف عند العرش. تدخل دردبيس من غرفة النوم وهي تحمل تاج نور العيون)**

دردبيس: نور العيون. نسيت التاج.

(دردبيس تصعد إلى جانب نور العيون وتهم بوضع التاج على رأسها)

دردبيس: شعرك منفوش. (ترتب لها شعرها وثيابها) أعرفه عجولاً منذ صغره. ملك يعود ولا يخبر أحداً؟

نور العيون: لا بد أنه جائع.

دردبيس: بينما تستقبلونه سأهيئ الطعام. اطمئني.

نور العيون: سيأتي بين لحظة وأخرى يا دردبيس. هل تستطيعين تحضير الطعام الذي يحبه؟

دردبيس: أنا التي تعرف كيف تحضر له الطعام. (تهم بالذهاب ثم تعود) لا تتركيه ينشغل مع القاضي وغير القاضي. جريه إلى الطعام من يده غصباً عنه.

---

1 مانفريد فرانك، حدود التواصل، تر: عز العرب الحكيم بناني، الدار البيضاء، 2002 ، ص6 .

2 المرجع نفسه، ص:7.

نور العيون: حاضر. حاضر.

دردبيس: ولا تشغليه بالنظرات والابتسامات بحجة أنه كان غائباً. رأساً إلى الطعام.

نور العيون: طيب. طيب. »[1].

ومرد ذلك أن طرفي الحوار يتمتعان بنفس الحق في ابداء الرأي والرأي المضاد بمرجعية حجاجية متناقضة، فالتواصل بهذا المعنى لا يخلو من نزاع لأنه يقوم على تبادل المصالح بين أطرافه وكل طرف يؤمن بأحقيته في انتزاع تلك المصالح[2].

والمصلحة في هذا الحوار هي كسب رضا الملك والاجماع والتنازع هما إذن خاصيتان للتفاعل التواصلي، والسلوك التواصلي لا يجمع بين هاتين السمتين فقط بل يوجد في كل العلاقات التواصلية كما يسجلها لوسيان سفيز Lucien Sfez في معجمه النقدي للتواصل[3] وفي مقدمتها نقل الافكار والاحساسات الى المشاركة، حيث النقل الى التفاعل مع الرأي والمشاركة فيه في آخر المطاف.

---

1 سرحان بلبل، الليلة الأخيرة، ص13.

2 ينظر: ديكرو أزولد، جان ماري سشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم الإنسان، ت: د.منذر عياش، بيروت : المركز الثقافي العربي، 2007، ص67.

3 Dictionnaire critique de la communication Presses Universitaire Paris 1993

المبحث الثاني: التقابل والتكامل

3. خاصية التقابل أو التكامل.

يقول المسرحي التشيكي **فاتسلافيك هافيل**[1] Václav Havel: « كل تبادل وكل تواصل من طبيعة تقابلية symétrique أو طبيعة تكاملية أو في آن واحد تقابلية وتكاملية بحسب أن يعطي الامتياز للتساوي أو الاختلاف بين المشاركين»[2].

هكذا نجد التقابل والتكامل خاصيتين يقع فيهما التفاعل التواصلي، فالعلاقة الحوارية التقابلية ترتكز على التساوي أثناء التبادل بين المشاركين، هذا يعني اتجاها حتميا، هو تبادل مرحلى من اجل نفس السلوك، صورة نافدة لأخذ الكلمة بالتناوب، صورة اثباتية تقدم على سبيل المثال تبادلا مساواتنا Egalitariste كل شيء يمؤبين المتواصلين كما لو أنه من الضروري عليهما أن يتبادلا الادوار بشكل لا يكون أي احد منهما خاضعا للآخر.

ويظهر هذا في جميع أطوار حوار المسرحية تقريبا لأن الأفراد أو الممثلين يتقابلون في الحوار حين التنازع ويتكاملون في الحوار حين الاجماع وبالتالي تكون السيرورة الحوارية متواصلة ومستمرة وغير متوترة كما يتضح من الحوار التالي:

(بينما يضحك شهريار ينام ماهين وهو واقف)

---

1 ـ فاتسلاف هافيل 5) أكتوبر 18 - 1936 ديسمبر) ,(2011 بالتشيكية(Václav Havel:؛ منشق ورئيس تشيكي سابق وكاتب مسرحي. كتب خلال حياته أكثر من عشرين مسرحية وعدد من الكتب التي ترجمت إلى لغات عالمية عدة. اختير ليحتل رابعًا وفق ترتيب مجلة Prospect magazine لأفضل مئة مفكر على مستوى العالم.

2* Dictionnaire critique de la communication P.423 نقلا عن: محمد نظيف، الحوار وخصائص التفاعل التواصلي

شهريار: أتنام واقفاً يا وزير؟

ماهين: (ينتبه) عفواً يا مولاي.

حيران: لعل الحرب لا تليق بالشيوخ العواجيز من أمثال الوزير.

شهريار: لو رأيتَه في الحرب لقلتَ غير هذا.

حيران: أعرفه دون أن أراه. يهجم على الطعام ويفر عند الهجوم.

شهريار: بل يكر ولا يفر. ويعف عند الغنيمة. ما أقواني بك يا ماهين.

ماهين: ما أقواك بجندك يا مولاي.

شهريار: هو ما تقول يا ماهين. استبسلوا في الحرب وصمدوا عند اشتداد القتال. وكانوا خير جند في خير معركة.

ماهين: وكنت أشجعَنا في الهجوم وأصبرنا على البلاء.

شهريار: أتعلم أيها القاضي أن الملك السكيت وابنه الهرتيت كانا من أشجع الرجال في القتال؟

ماهين: لكن النتيجة كانت محتومة في معركة فاصلة.

شهريار: وها هي بلادنا تفرح.

والتبادل التكاملي يختلف عن التقابلي بكون سلوكات المتواصلين تتجاوب وتتوازي تبادليا، افعال المتواصلين تنظم بالأحكام والاذعان لها كل واحد من العنصرين يمكن أن يأخذ وضعية عليا ووضعية سفلى المشاركان يستندان الواحد الى الأخر حسب خاصيات السلوك الذي يجمعهما وبواسطة اختلافهما نفسه.

هذا السلوك لا يفضي الى **الاجماع أو التنازع** في الحوار بقدر ما يفضي الى **التراضي** باعتبار أن التبادل هنا لا يتغيى الميل الكلي لأحد طرفي الحوار على الطرف الأخر كما هو الحال في التنازع، بل يهدف الى الانصياع الجزئي لأحد الطرفين للطرف الأخر لتحقيق الخاصية التكاملية في الحوار، وهذا ما حصل **لماهين** حين خضوعه للملك **شهريار** في هذا الحوار.

المبحث الثالث: المضمون والعلاقة

4. خاصية المضمون والعلاقة.

يقول **فاتسلافيك** أنه من خصائص التفاعل التواصلي الوضعية الخاصة للمضمون: وعلاقة التواصل الانساني يتضمن جانبين المضمون Contenu والعلاقة Relation مدمجيـــن بشكل غير قابـــل للانفصال حيث تبـــدو فيها العلاقـــة ميتـــا – تواصـــل méta-communication .[1].

المضمون نعني الخبر، الرسالة، الجانب الكمي للحوار، موضوع المضمون هو كل ما يمكن ايصاله، لا يمكن أن يكون هناك تفاعل تواصلي بين متحاورين دون أن تكون إرسالية منقولة من المرسل إلى المتلقي ومن المتلقي الى المرسل.

وقد أكد على هذه الرسالى كل الدارسين للعملية التواصلية سواء كانت حوارية أم غير ذلك، وما مخطط **رومان جاكبسون** التواصلي إلا خير دليل على ذلك «ولاشيء يمكن من تحديد أي الارساليتين تتولد عن الأخر إنهما يتقاطعان ويتداخلان أثناء التفاعل بشكال غامض، إرسال مضمون ما يتطلب تركيبا ودلالة تمكن المشاركين من التفاعل أخذا بعين الاعتبار موضوع الرسالة »[2]

---

1 Dictionnaire critique de la communication P.425

2 آن روبول . جاك موشلار . التداولية اليوم . ت : سيف الدين دغفوس . د. محمد الشيباني . بيروت : المنظمة العربية للترجمة . ط1، 2003 ص 134.

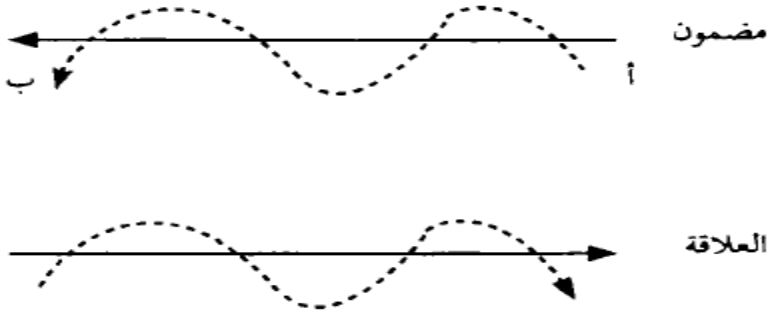

في الغالب جانب العلاقة ليس محددا بشكل محسوس في التواصل الحواري، يبدو جانبا جوهريا لأنه يموقع الاشخاص في التفاعل القنوات التي تمر بواسطتها العلاقة ذات طبيعة ابداعية منقطعة النظير.

هاته الطبيعة الابداعية المتعددة تمر مع ذلك الى حل سنني Décodage صحيح للعلاقة وهو أصل الصراعات المتعددة بين الاشخاص.

والسلوك الحواري حسب **فاتسلافيك** « لا يقتصر على نقل الخبر ولكن يحمل في نفس الوقت على سلوك معين»[1] وهي اشارة لمسالة تأثير المضمون الحواري في توجيه المعتقدات، بحيث أن التبادل يهدف تكييف معتقد أحد الاطراف بالشكل الذي يسير معه الى اهداف محددة للطرف الأخر وهو هناك الحمل على سلوك معين.

ويعتبر فاتسلافيك هاتين العمليتين تمثلان جانب المؤثر Indice (وهو نقل الخبر الحواري) وجانب الأمر order (وهو الحمل على سلوك معين) من كل تفاعل تواصلي.

فالتبادل الحواري بصيغة التقابلية أو التكاملية المفضلة الى الاجماع أو التنازع أو التراضي يمر من جانبين جانب المؤثرات التي تهم المضامين الحوارية وجانب الاوامر التي تهم تكييف السلوكات والعلاقات مع ما تقتضيه تلك المضامين.

هذا يعني أن المضمون والعلاقة يحققان شكلا من التفاعل بين المتحاورين، هذا التفاعل الذي ينبني حسب **فلاتسلافيك** على توجيه متواليه الاحداث Ponctuation de la séquence des faits حيث يقول: « بالنسبة لملاحظ خارجي سلسلة من الاحاديث يمكن

---

1 - Une logique de la communication .Seuil 1972 .P.49 نقلا عن: محمد نظيف، الحوار وخصائص التفاعل التواصلي

اعتبارها متوالية مستمرة من التبادلات رغير أن المشاركين يدخلون دائما في هذا التفاعل أي ما يسميه **باتسون وجاكسون** نقلا عن تعبير **لوورف whorff** توجيه متوالية الاحداث»[1]. وهذا ما نجده في حوار المسرحية من تضافر للآراء وتفاعل للمتحاورين للوصول إلى توجه الأحداث إلى وجهة معينة ينشدها المتحاورون جميعاً.

والسؤال المطروح ليس هو معرفة هل توجيه متوالي الأحداث في مجموعها جيدة أو رديئة، لأن من البديهي أن التوجيه يبين السلوك الحوارية وهو بذلك اساسي من اجل تتبع التفاعل " والاختلاف في الطريقة التي يتم بها توجيه متوالية الاحداث هو أساس الصراعات المتعددة حول العلاقة[2]" وذلك لأن الصراع هو المحرك الحقيقي للأحداث والحوالحوار معاً.

وفي هذا الصدد يمكن القول أن الامر يتعلق بعلاقات مؤسسة على التساوى أو الاختلاف في الحالة الاولى المشاركان لهما توجه نحو الأخذ بسلوك مرآوي وتفاعلهما يمكن اعتباره تقابليا لا يجوز هنا أن نتحدث عن الثنائيات ضعف / قوة، حسن السلوك / سوء السلوك، الأن التساوي يمكن أن يظل بداخل السلوكين معا في الحالة الثانية اي حالة الاختلاف فان سلوك احد المشاركين يكمل نظيره لدي الاخر لتشكيل صيغة من نمط مختلف، نسميه مكملا Complémentaire هكذا التفاعل المكمل يتأسس على استيعاب الاختلاف.

وتعاريف التواصل برمتها تعكس بشكل ضمني أهمية المضمون والعلاقة في تأسيس التفاعل، هكذا نجد جون دبوا يقول في معجمه اللساني:

« لتواصل هو التبادل الكلامي بين شخص متكلم sujet parlant الذي ينتج ملفوظا موجها الى متكلم آخر، وهذا المخاطب Interlocuteur يلتمس الاستماع أو الجواب الصريح أو المضمر حسب نمط الملفوظ»[3]

ويظهر هذا السلوك في أبسط أنماط الحوار اليومية وبطبيعة الحالة في الحوار الفني الأدبي وبالخصوص المسرحي كما يتضح من هذا الحوار البسيط:

---

1 المرجع نفسه، ص52,55.P.

2 Une logique de la communication .Seuil 1972 .P.54: نقلا على المرجع السابق

3 Dictionnaire de linguistique P.96

القاضي: (مندهشاً) كيف علمت هذا وأنت غائب في الحرب؟
شهريار: أتظن الحرب تشغلني عن أمور رعيتي؟
القاضي: ما فعلت ذلك إلا حفاظاً على هيبة الحكم في غيابك.
شهريار: مجنون أنت أيها القاضي؟ أتجعل الناس تهابني بالخروج عن العدل؟
القاضي: لأن الشدة بين الناس أساس العدل.
شهريار: لكن الرحمة فوق العدل.

والسلوك الحواري حسب **جون دبوا** ينطلق من مفهوم التبادل الكلامي Echange verbal وهو الوحدة الحوارية الدنيا التي تمكن ممثلي الخطاب من المشاركة في الحوار حسب الدور التلفظي لاطرافه ولن تتم عملية التبادل إلا بتفعيل مضمةن حواري بين طرفي العلاقة الحوارية، فهنالك من جهة الانتاج والتوجيه وهناك من جهة ثانية الاستماع والجواب وهي سلوكات حوارية مؤسسة للتفاعل التواصلي بين أطراف الحوار.

ومن هنا تأتي أهمية أخلاقيات النقاش والحوار، فمعاييرهما هي ما قد يكفل التوازن الدولي ويدعم تنمية المجتمعات. ذاك هو رهان اخلاقيات النقاش شريطة اجماع الكل على قواعد و معايير وضوابط يلتزم بها المتحاورون في اطار فعل تواصلي.

هذا وقد دعم هابرماس اطروحته هذه بالنظرية الحجاجية فاستمد منها القواعد الصورية التي يجب على المتحاورين الالتزام بها قصد تحقيق الاجماع او اتفاق العقول. وبانفتاحه على النظريات الحجاجية، كان هابرماس يهدف الى تأسيس مبدأ استدلالي في اخلاقيات النقاش، يتشبه بذلك الموجود في العلوم الحقة .

والقواعد التي اقترحها هابرماس هي التالية:

1- لكل من هو قادر على الكلام والفعل نصيب كامل في النقاش

2- لكل الحق في اثارة اي اشكال او اعتراض على أي تأكيد كيفما كان؛ يندرج ضمن هذا الحق حق الاعتقاد في آراء ما و التعبير عنها؛

3- لا يحق منع اي كان منن المتحاورين من النقاش ولا استعمال اسلوب الاكراه عليه[1] وتفعيل المضمون الحواري من جهة النظر السيكولوجية اللسانية

1 -J.Habermas,L'Ethique de la discussion ,Trad .M.Hungadi,Paris, 1992,P 108 . 111

Psycholinguistique يكون « بين شخصي intersubjective إنه الاجراء الذي تكون فيه الدلالة التي يربطها متكلم بالأصوات هي نفسها التي يربطها مستمع بتلك الاصوات»[1]

السلوك الحواري من وجهة النظر هاته يوحد الدلالة الحوارية بين ممثلي الخطاب حيث يبقى الاختلاف أو التساوي بينهم نتيجة منطقية لتبادل دلالي ليست فيه مجازفات بين عقد السنن وحله.

أما تفعيل المضمون الحواري من وجهة نظر منظري الاتصالات Telecommunication فيتم على النحو الآتي: « التواصل هو الفعل الذي ينقل فيه الخبر Information من نقطة إلى اخرى (مكان أو شخص) تحويل هذا الخبر يتم بواسطة الارسالية التي ـاخذ شكلا معينا، الشرط الأول في الحقيقة لكي يتأسس التواصل هو أن يأخذ الخبر سننا معينا، بمعنى تحويل الارسالية المحسوسة الى نظام من العلاقات ،أو الى سنن خاصيته الاساسية أن يكون عرفا محددا سلفا نسقيا واضحا وجازما »[2]

ويمكننا أن نفهم الانتشار التواصلي للحوار من هذا المقطع الحواري من مسرحية الليلة الأخيرة:

حيران: الملك يأمر بالرحمة ولا يرحم القاضي.
شهريار: وأنت أيها الوزير.
حيران: الملك أكل القاضي. وسوف يأكل الوزير.
شهريار: قد آكلك يا هذا.
حيران: إذا أكلتني فأكثِرْ من وضع الفلفل والبهار.
ماهين: أنا تحت الأمر يا مولاي.
شهريار: بعدما فرغ بالنا من هزيمة الملك السكيت، سنعمل على تعمير البلاد حتى تكثر خيراتها ونعوِّض ما أنفقناه على الحرب.
ماهين: ولا تنس العطف على الناس يا مولاي.
شهريار: (يضحك) لا يغيب عنك التفكير بالرعية يا ماهين.
ماهين: إذا كانت الحرب تلزمها الشجاعة، فإن الرأفة بالناس تلزمها البطولة.
شهريار: بعد غد أسمع ما تريد. بعد غد. أنا أناقشك فيما تطلب. وأنت تسدد خطاي فيما آمر به.
ماهين: أعرفك تحب الاستشارة في أمر الدولة يا مولاي.
نور هكذا يكون الملك الصالح. وعلى وزيره أن يكون مثله.

---

1 Dictionnaire de linguistique P.96

2 Dictionnaire de linguistique P.97

العيون:

شهريار: أما غداً فإلى الصيد. ألا يحق لي يوم راحة بعد شهر في الحرب يا وزير؟

فنفهم كيف انتشر مفهوم الرحمة من الملك إلى بقيت المتحاورين ليعود الملك ويستفيد هو من هذا المفهوم بحقه في الراحة وهي نوع من الرحمة التي يستحقها بعد حرب طويلة وشاقة.

والسلوك الحواري من وجهة النظر هاته يتأسس على نقل الخبر (إذن المضمون) بين ممثلي الخطاب بسنن محدد معروف، إذن الأمر يتعلق بعنصر مؤسس للتفاعل هو تحويل الخبر بين أطراف العملية الحوارية، إلا أن هذا التحويل يتطلب سننا محددا من اجل عقد الارسالية وحلها لكي يتحقق سلوك حواري فعال.

وجهة النظر هاته تلتقي جزئيا مع ما جاء في الموسوعة الفرنسية Hachette حيث يعتبر التواصل " مجموع الظواهر التي تتعلق بإمكانية شخص ما نقل خبر معين لشخص أخر باللغة المنطوقة أو بأنظمة سننية أخرى[1]"

هذا يعني أن هناك ظواهر لسانية واجتماعية وثقافية التي تحكم إمكانية نقل الخبر بين ممثلي الخطاب، كما أن هاته الامكانية تتم باللغة المنطوقة أو المكتوبة كما تتم بأنظمة سننية أخرى فالسلوك الحواري يتأسس على نقل المضمون الخبري إلا أن هذا النقل لا تشكل فيه اللغة المنطوقة أو المكتوبة إلا امكانية واحدة من امكانيات متعددة[2]

.

---

1 - Dictionnaire Hachette : Communication Encyclopédie Hachette.

2 ينظر: اوزوالد ديكرو: جان ماري شايفير. القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ت د. منذر عياشي. بيروت: المركز الثقافي العربي . 2007 ، ص45.

المبحث الرابع: الميتاحوارية

الازدواجية السننية هي الخاصية الميتا – حوارية للتفاعل التواصلي.

اذا كان السلوك الحواري يهدف في معظمه الوصول إلى احدى الحالات التواصلية سواء منها **الاجماع أو التراضي** فان له اسسا لسانية وخارج لسانية تسجلها الخطاطات **الميتا- حوارية المتعددة** وتعتبر في هذا الصدد **الخطاطة الميتا – حوارية** لأوريشيوني C.K Orecchioni اسهاما تواصليا يسجل عناصر التفاعل الحواري[1].

من بين هاته العناصر هناك الازدواجية السننية التي تميز التفاعل التواصلي، وتعني ان كل طرف من اطراف العملية الحوارية يملك سننا خاصة به، وهي حقيقة تتجاوز الاطروحة الاحادية التي دافع عنها **جاكوبسون،** ذلك أن الخطاطة الميتا- حوارية لجاكوبسون، هذا الموقف السنني يعنيه **جاكوبسون** بقوله: « عند حديثنا الى مخاطب جديدة، كل واحد يحاول قصدا أو بغير قصد، اكتشاف مفردات موحدة، من اجل الارضاء، أو ببساطة من اجل التفاهم أو أخيرا للتخلص، نستعمل نفس مصطلحات المرسل اليه لا توجد الملكية الخاصة في مجال اللغة: الكل مشترك (....) اللغة الفردية ليست في الاخير اذن الا وهما منحرفا شيئا ما»[2]

إن **رومان جاكوبسون** يخلق في إطار السنن الموحد سلوكا حواريا يتضمن أهدافا حوارية ثلاثة: الارضاء التفاهم أو الاختلاف حيث يكون سنن المرسل اليه هو المرجع الذي يتملكه المرسل تكيفيا أو محاكاتيا.

---

1 ينظر: المرجع السابق، ص56.

2 Essais de Linguistique générale : T 1.P.33

إلا ان هذا الموقف السنني يرفضه **بورديو Bourdieu** لأنه في نظره يحمل دورا ايديولوجيا: "انه يهدف وضع قناع بهذا المظهر المرح بانسجام خيالي على وجود توترات مواجهات وجور حقيقي، انكار وجود هاته التوترات والتعليل« بأوهام الاحادية اللسانية" Communisme Linguistique هو في الواقع توسل ورقة اللغة للاختلالات الاجتماعية»[1]

موقف **بورديو** يرفض اللغة الموحدة ويعتبر أن اللغات الفردية هي ما بمكن التوترات الموجودة بين الأفراد، ونتيجة لذلك فان التعدد السنني هو ملاذ اي تفاعل حواري يراد له أن يعكس العلاقات الحقيقية بين الأفرد.

على هذا الاساس لن يتأسس الحوار المناظري – على الأقل – على هذا الاساس لن يتأسس الحوار المناظري – على الأقل – على وجود السنن الموحد ولكن على وجود لغتيين فرديتين، **والارسالية الحوارية** نفسها تصبح مزدوجة فيما يخص جانبها المدلولي فإذا كانت الكفاية هي مجموعة القواعد التي تحدد اقتران المعاني بالأصوات وأن هاته القواعد التقابلية دال / مدلول تختلف من لغة فردية الى أخرى، فيجب أن نقبل أن في المسافة التواصلية بين عقد السنن وحله يتعرض المعنى لتحولات:

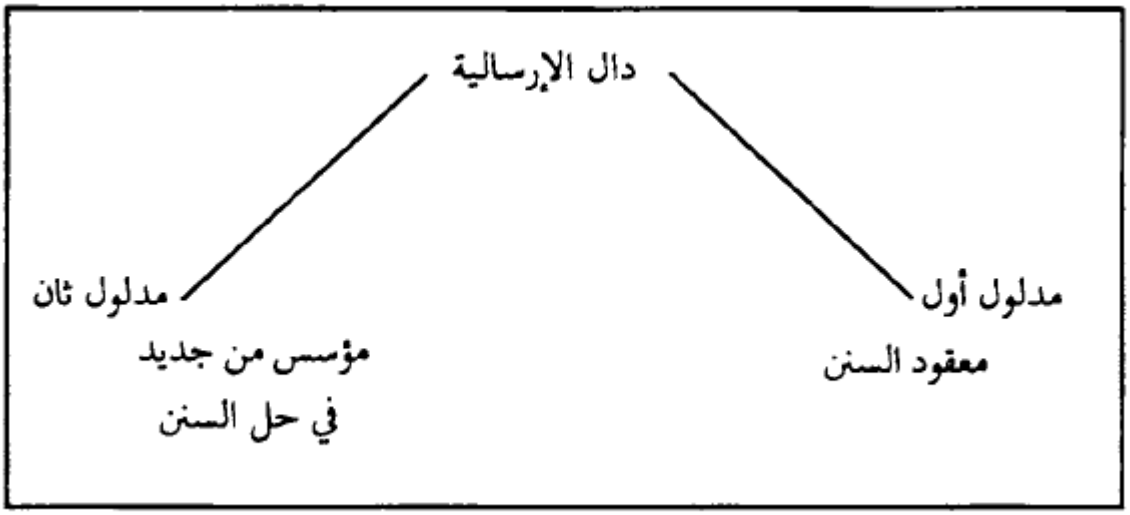

1 Enonciation de la subjectivité dans le langage P.15

ونستنتج من هذا أن قول **جاكوبسون** بأن الارسالية تمر في مجموعها من يد الى يد دون اي تبدل في العملية ليس صحيحا بالنظر الى التحولات التي تطال المعني بين عقد السنن وحله، هاته الحقيقة هي وجه اخر للازدواجية السننية في المسافة الحوارية فالسنن كما يؤكد شومسكي يشغل مثل « كفاية مضمرة Compétence implicite للشخص هي مجموعة من الاستعدادات التي استبطنها»[1] هكذا السنن مكونا قد تضاعف الى اثنين الاول في دائرة المرسل والاخر في دائرة المستقبل و التواصل الحواري نتيجة لذلك يتضمن لغتين فرديتين لكل واحدة منهما مظهران اثنان:

« كفاية من جهة الانتاج وكفاية من جهة التاويل الاول مندمجة في الثانية والان استعداداتنا لعقد السنن اقل من استعدادنا لحل السنن الشخص نفسه يجعل الكفاية الاولى او الثانية تشتغل حسب الدور التلفظي»[2] حيث يعمل السلوك الحواري على تفعيل الكفايتين من جهة الارسال الاستقبال اذ يبقى الانتاج والتاويل مظهراين اساسين لعقد السنن وحله اثناء العملية الحوارية.

1 Enonciation de la subjectivité dans le langage P.16
2 liped P.16

هكذا يمكن اعتبار " كفاية الشخص" التي يتم تفعيلها اثناء الحوار هي مجموع امكانياته اللسانية اي الجرد الكامل لما هو قابل لانتاجه وتاويله وبالرغم من ان هاته الكفاية الحوارية بالاساس متصورة بشكل موسع جدا الا انها توجد مقلصة حينما يشتغل التواصل في الحالة التي يكون فيها الشخص في وضعية عاقد السنن وذلك بسبب المصفات المختلفة التي يسجلها عالم الخطاب:

ليس صحيحا تصور المرسل شخصا يختار بكيفيه حرة من اجل اعداد ارسالية هذا أو ذلك من الوحدات المعجمية هاته أو تلك من البيانات التركيبية في خزانه من لستعداداته اللغوية، ويستمد من هذا الخزان الشاسع دون قيد اخر سوى مايريد قوله قيود اضافية تظهر وتشتغل مثل مصفات اخرى تحد من امكانية الاختبار وتوجيه تقابليا نشاط حل السنن مصفات تعود لنمطين من العوامل:

الشروط الواقعية

الخاصيات الموضوعية والبلاغية للخطاب اي بالجملة قيود الشكل" ويتبين انطلاقا من هذا النص ان تفعيل الحوار يذهب بعض القيود التي يتمثل لها اطراف العملية الحوارية والتي تصاحب الحوار بكل مكوناته هاته الحدود منها ما هو لساني مرتبط بشكل الخطابي التزام خاصيات موضوعية وبلاغية تجعل التبادل ممكنا اثناء العملية الحوارية، ومنها ما هو **خارج – لساني** مرتبط **بالسياق** ضامنا لتبادل ناجح بين اطراف الحوار.

تفعيل الكفايات actualisation des compétences

من الخصائص المميزة للتفاعل التواصلي هناك تفعيل الكفايات « التي تعتبر من العناصر التي تحضر السلوك الحواري بمستوييه الارسالي والاستقبالي وقد خصصت لها **اوريشيوني** اطارا هاما في خطاطتها **الميتا – حوارية** خاصة الكفايات غير اللسانية les compétences non –linguistiques التي تضم الخاصيات النفسية والتحليلية النفسية psychanalytique التي تقوم بدور اساسي في عمليتي عقد السن وحله ثم الكفايات الثقافية compétences culturelles والموسوعية encyclopédiques وهي مجموع المعارف المضمرة التي يتوفر عليها المشاركون في التفاعل الحواري اضافة الى الكفايات

الايديولوجية compétences idéologiques التي تتضمن مجموع الأنظمة التأويلية والتقويمية للعالم المرجعي هاته الكفايات تدخل في علاقة ضيقة مع الكفاية اللسانية compétence linguistique تلك العلاقات التي تكون مسؤولة على تشعبات اللغات الفردية »[1].

وتكمن هذه الكفايات في المسرحية في الربط بين مفاهيم السرد في ألف ليلة وليلة والحوار في مسرحية الليلة الأخيرة فهاته الكفايات هي التي تساعد على وصف السلوك الحواري في حالاته المتنامية اثناء العملية الحوارية، فتفعيلها هو الذي يمكن من فهم العناصر المساهمة فيما يؤول اليه الحوار من تفاهم أو اختلاف بين أطرافه، وهاته الكفايات غير اللسانية أو الموسوعية أو الايديولوجية تاخذ تمظهرات معنية في الكفاية اللسانية هاته التمظهرات تعكس اختلاف كفايات اطراف العملية الحوارية من جهة وتعكس تضارب اهدافهم و مقاصدهم من جهة ثانية.

1 ديكرو أزولد ، جان ماري سشايفر ، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم الإنسان ، ت : د.منذر عياش ، بيروت : المركز الثقافي العربي ، 2007 ، ص86.

المبحث الخامس: الإنتاج والتأويل

إنهما نموذجان يتأسسان عمليا في أي حوار من فعل تلفظي فعال ناتج عن تعبئة المعارف التي يتوفر عليها المشاركون في التواصل حول لغتهم ، هكذا يشغل ممثلوا الخطاب قواعد عامة تتحكم سيرورات عقد السنن وحله. هاتان السيرورتان تكونان نموذجي الإنتاج والتأويل .

إلا أن نموذجي **الإنتاج والتأويل** لا يهمان اللغة فحسب في السلوك الحواري تفعيلهما يهم استحضار **كل الكفايات** أثناء تلك العمليات عقد السنن الذي يخص نموذج الإنتاج لتحكمها الكفاية اللسانية للشخص فقط بل تستوجب استحضار القيود الخطابية كما هي في عالم الخطاب، كما تستوجب تفعيل الكفايات غير اللسانية خاصة الكفاية الإيديولوجية التي تهم تقييم العالم المرجعي الذي له أهميته أثناء عقد سنن . أما نموذج التأويل الذي يعني حل السنن في شموليته، فإنه يستحضر ـــ إضافة للكفاية اللسانيةـــ الكفاية الموسوعية والثقافية اللتان بهما تجد المضامين الحوارية رصيد تأويلية لدى الملتقي لأن التأويل يعني حلا سننيا ومعرفيا يساعدان على التجاوب مع مقتضيات الحوار .

هاته مجمل الخصائص التي تحتضنها المقاربة التواصلية للحوار، وعلى أساسها يكون التفاعل التواصلي منسجما مع الحركية التي تتضمنها الخطط التواصلية الميتاـــ حوارية لأوريشيوني والتي (تدمج الكفاية الإيديولوجية) لسلاكطا (ومختلف الأسس الإيديولوجية، اللسانية، التحليلية Analytique والنصية Textuelle) لكل من مالديديي ونورمون وروبين)).[1]

1- Enonciation de la subjectivité dans le langage.p19.

- خطاطة أوريشيون التواصلية:

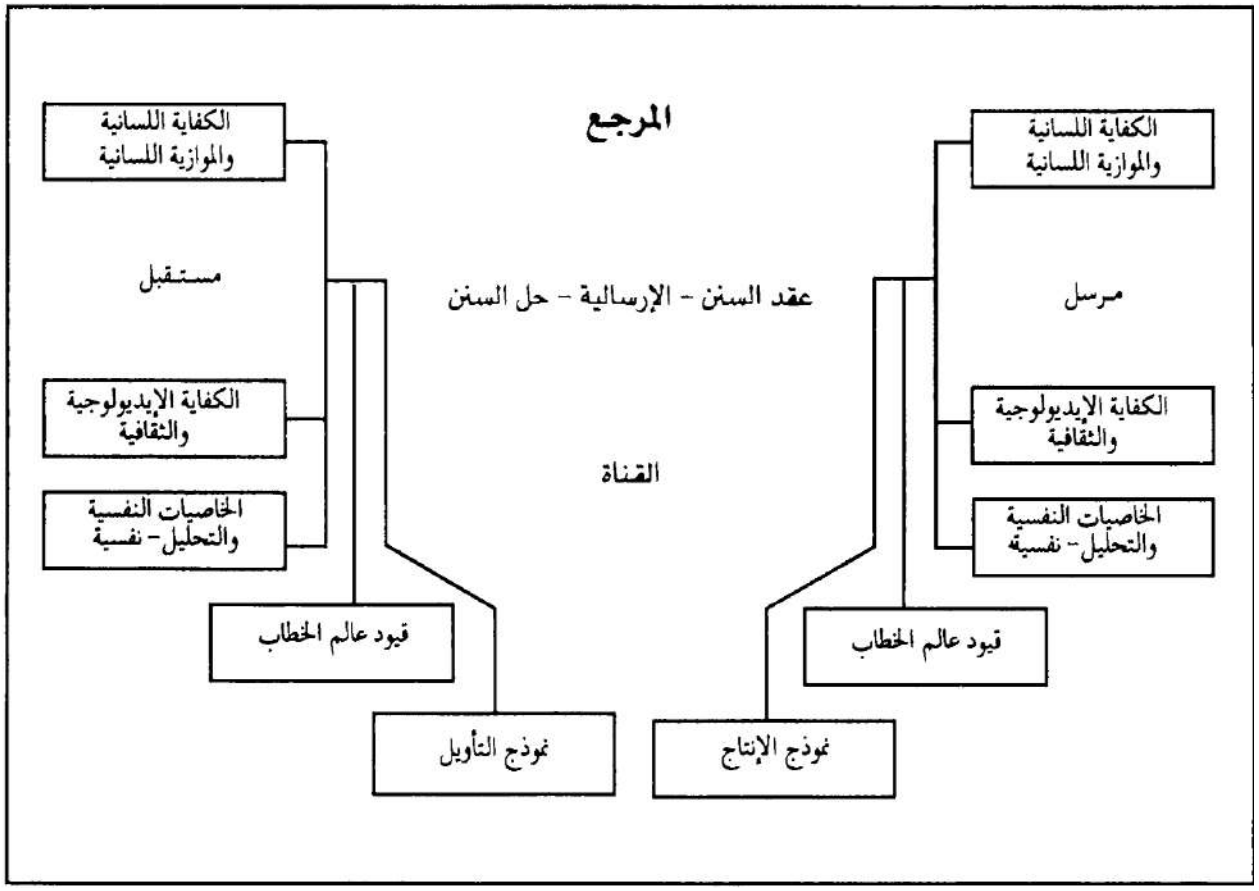

إن هذا التفاعل التواصلي يجعل الأنظمة السيميائية تقف في مستوى واحد أثناء إرسال الدلالات، فليس هناك تمييز لأحد الأنظمة على حساب أخرى، بل هناك تنظيمات مختلفة تبقى ممكنة في التبادل الحواري، فقد نشاهد أثناء الخطابي تنظيما تقليديا مثل: **إرسالية لسانية +حركة+إيماء .** وفي حالات حوارية أخرى يمكن إن تأتي هاته حركة لتأخذ مكان كلمة أو مركب اسمي أو فعلي syntagme. إن السلوك الموازي للكلام له أهميته في استكمال الدورة التواصلية إثناء التفاعل الحواري. ففي الشفهي على الخصوص يكون اتجاه نظر المرسل هو الذي يحدد المخاطب بكيفية أولية ،ذلك السلوك الذي يكون فعله حاسما أكثر من استعمال الضمير "أنت "بشكل لساني خالص. وهذا لا يتسنى في الحوار المكتوب بل في الحوار الشفوي عند أداء المسرحية.

أ- عالم الخطاب الذي يعتبر مركزيا في أي سلوك حواري نجده في الخطاطة **الميتا- حوارية** يتضمن معطيات و قيودا جد مركبة و متغايرة، أهمها ربط الحوار المسرحي بالحوار الغائب من ألف ليلة وليلة .

ب - المعطيات الخاصة بالمقام Les Données Situationnelles التي تتعلق بالطبيعة الكتابية أو الشفوية لقناة الإرسال وتنظيم الفضاء التواصلي الحواري ويجدر التذكير أن تنظيم الفضاء التواصلي الحواري يتعلق بتمثيلات وصور يكونها المتحاورون من خلال كفايتهم الثقافية والموسوعية حيث تتدخل الصور (ص) التي يجعلها المرسل (أ) والمستقبل (ب) حول أنفسهم وحول مشاركهم الحواري: أي العناصر الأربعة التي يرمز إليها **ميشيل بيشو** M.pécheux كالآتي:

- ص أ (أ) [صورة أ على أ]: من أكون لكي أتكلم معه بهاته الطريقة ؟
- ص أ (ب) [صورة ب على أ]: من يكون لكي تكلم معه بهاته الطريقة ؟
- ص ب (ب): من يكون لكي يكلمني بهاته الطريقة ؟
- ص ب (أ): من أكون لكي يكلمني بهاته الطريقة ؟[1]

هاته العناصر الأربعة تتحكم في مجريات السلوك الحواري لأطراف الحوار، لأن كل طرف يستحضر من جهته هاته المعطيات الخاصة بالمقام ليؤطر بشكل جيد مشاركته الحوارية أثناء التبادل .

فالوضعية الاجتماعية أو التاريخية وحتى الأسطورية للمشارك الحواري مثلا لها دورها في إذكاء التفاعل التواصلي بين أطراف العملية الحوارية.

القيود الموضوعية البلاغية Contraintes Thématico rhétoriques وهي قيود يسميها تودوروف T.Todorov « بالقيود اللفظية والخطابية في تعارضها مع القيود اللسانية بحصر المعنى».[2]

---

1 Enonciation de la subjectivité dans le langage.p20.

2 lipd.p29.

كما يمكن أن نقف على التفاعل الموجود بين العناصر المكونة لهاته الخطاطة الميتا-حوارية:

1- **المرسل والمستقبل[1]:** هما مشاركان حواريان يأخذان موقعهما في الخطاطة وجها لوجهه، ودائرتهما توجدان كفقاعتين تحترسان من التقاطع، لذا تم إدخال بعض التصويبات لكي يسجل شيئا فشيئا خاصية التفاعل الحواري، حيث تم اعتبار كل مستقبل هو في نفس الوقت مرسل بالقوة. وأن الكفاية الثقافية للمرسل والمستقبل تستوجب إدماج الصورة التي يجعلانها على نفسهما وعلى الآخر، والتي يتخيلان أن الآخر يجعلها عنهما.

كما أن العلاقة الحوارية غير التناوبية مائة بالمائة تجعل ممثلي الخطاب يمارسون بعض التعديلات المتبادلة فعلاقتهم تبعا لحدوث ما يسميه بعض المنظرين أمثال **فاتشلافيك** Watzlawick تفاعلا Interaction.

ومن جهة أخرى، فبالرغم من أن جاكسبون يفترض أن كفاية المرسل والمستقبل غير متماثلة على الوجه الأكمل، فإن تقديمهما منفصلين كليا يعتبر إفراطا معكوسا لأنهما يتقطعان لاسيما وأن لهما انتحاء إلى توافق الواحد مع الآخر في مجرى التبادل الحواري، وكل واحد منهما يشكل سننه الخاص على ما يفترضه لدى الآخر بدرجات جد متغيرة من الحقيقة. بعض التوليديين يؤكدون ذلك ويضعون مسلمة تقتضي وجود كفاية تواصلية Compétence communicationnelle وتعني "الشعور بوجود بعض الاختلافات اللغوية الفردية[2]"، كما ذهب إلى ذلك ليكوف Lakoff. بل أن ووندرلينش Wunderlich ذهب أبعد من ذلك إلى وجود كفاية واصفة Meta-compétence التي تشكل جزءا من الكفاية اللسانية وتعني القدرة على إعادة تنظيم النحو المستبطن، وتعديل قوانين موجودة لإنتاج الجمل والإدراك اللساني، وقبول عناصر معجمية جديدة...الخ وذلك في إطار ما يفرضه التبادل الحواري على كل أطرافه. إذ أن هاته الكفاية الواصفة تتشكل كل مرة يقبل فيها مستمع، بل ومرسل كذلك الكفاية اللسانية المختلفة لأحد المشاركين في التبادل الحواري،

---

1 ينظر: اوزوالد ديكرو : جان ماري شايفير . القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان . ت، ص84.

2 Enonciation de la subjectivité dans le langage.p27.

يحاول استيعابها.هكذا تكون البداية مع إدراك الاختلافات اللغوية الفردية وينتهي الأمر باستيعاب هاته الاختلافات وتعديل قوانين إنتاج الجمل والإدراك اللساني أي بالجملة المساهمة في إنجاح التبادل.

ومهما كان الموضع الذي نخصصه للظاهرة في الخطاطة الميتا-حوارية، فإن ما يجب التأكيد عليه هو أن أي فعل حواري يفرض بذل بعض الجهد للوضع مكان الآخر، وهو جهد يكون قويا بالنسبة للطرف المستقبل أكثر من الطرف المرسل أن "التواصل يتأسس على هاته المطابقة الناجحة نسبيا والمرغوب فيها كذلك لأنظمة الاستدلال Systémes de repérage لدى المتلفظين معا[1]" ونستنتج من هذا أن المتحاورين معنيون جميعا بهذا الوضع مكان الآخر أثناء التبادل الحواري وذلك بعد الشعور بالاختلافات اللغوية الفردية من جهة وبعد تعديل قوانين الإنتاج والإدراك اللسانيين من جهة ثانية. وهذا الوضع مكان الآخر يهدف بالدرجة الأولى استيعاب اختلاف الآخر بهدف تحقيق تبادل تقابلي مرآوي بين طرفي الحوار وليس تعميق الاختلاف وهذا جزء مهم من أسباب الإجماع ونبذ التفرقة والتنازع.

2- مسألة الكفاية الإيدولوجية، La compétence idéologique

الايدولوجيا التي تكون نظاما من المضامين المستقلة، القابلة للظهور في كل أشكال السلوكيات السيميولوجية، تستثمر كل جوانب النموذج التواصلي وبخاصة المضامين اللسانية، لذلك فالكفايتان الإيدولوجية واللسانية وان تم تقديمهما مستقلين فإن حدودهما نفيذة.

وحضور الكفاية الايدولوجية في السلوك الحواري يظهر في الأساس في التبادل الحجابي حين يمارس كل طرف قدراته التفسيرية للقضايا بإبراز المناحي التي تعطي قوة الموقف وذلك الإشراك في الرأي وتحقيق الإقناع.

1 lipd.p28.

إذن إذا كان الهدف من تفعيل الكفاية الإيدولوجية هو تحقيق الإقناع فأي مرجعية لهاته الكفاية؟ إن الجزء الأكبر من هاته المرجعية يوجد في التبادل الحجاجي بما يعنيه من تفعيل للحجة والحجة المضادة بشكل متنامي مصاحب لتطور موضوع الحوار، والايدولوجيا هي ما تعطي نوعا ما من الحمولة المعرفية بهدف تعبئة حجاج فعال يهدف فالأخير الإشراك في الرأي والإقناع.

3- **وضعية المرجع:** وهي هنا في المسرحية تعود الى المتن السردي لحكايات ألف ليلة وليلة والتي تتميز بتعقدها، فهو يوجد خارج الإرسالية الحوارية ويحيط بالتواصل ويتصل به في نفس الوقت،لأن جزءا من المرجع حاضر حسيا وواقعيا، ومدرك في الفضاء التفاعلي الحواري،وهو الذي نعني عموما بمقام الخطاب situation du discours الذي يتحول به جزء آخر من هذا المرجع إلى مضمون الإرسالية الحوارية،حيث ينعكس أخيرا في الكفاية الايدولوجية والثقافية للمتحاورين،أي بالجملة في الكفاية الموسوعية التي تشمل مجموع المعارف التي يتوفرون عليها، والتمثيلات التي يكونونها، إذن مجال اتصال المرجع متعدد بين الفضاء التفاعلي الحواري والكفايات الثقافية و الايدولوجية.

هكذا تكمن قيمة المرجع فيما يقدمه للحوار من مكونات تضمن تنامي موضوعه وتفاعل أطرافه.و نظرا لارتباط المرجع بالتفاعل الحواري فانه يشهد تطورا مصاحبا لتطور موضوع الحوار.

4- **مسألة عالم الخطاب Univers du d iscours** أما فيما يخص عالم الخطاب الذي يهم متن الحوار فانه يدمج في آن واحد المعطيات المقامية Données situationnelles وقيود الشكل،والحدود الداخلية والخارجية بين هذين المكونين تبقى غير محددة بشكل واضح(هذا الموضوع له اتصال بالمبادئ الحوارية التي سنتطرق لها في المقاربة التداولية) لأن القيود البلاغية محددة في جزء منها بالمعطيات المقامية،كما أن أطراف الحوار هم جزء مدمج في المقام التواصلي الحواري من جهة أخرى لذلك والوضعية في المقام الحواري يدمج جزءا من المرجع.

هكذا تبين أن العناصر المتدخلة في السلوك الحواري جد مركبة و يصعب على الخطاطة الميتا –حوارية أن تعكس كل أشكال التفاعل بين مكوناتها. إلا أن ما تجدر الإشارة إليه هو أن تفاعل الكفايات المنعكس في عقد السنن وحله هو المسؤول الأول عن التساوي أو الاختلاف بين أطراف الحوار.ذلك أن تفاعل الكفايات الموجود في الإنتاج والتأويل هو الذي يخلق علاقة مختلفة بين ممثلي الخطاب هاته العلاقات التي تفضي إلى الإجماع أو التنازع أو التراضي.

إن هاته القضايا الأربع تسهم بشكل مباشر وغير مباشر في تحديد مقصدية الحوار ورسالته الحقيقية فتحديد المرسل والمستقبل يتعين منه طرفي التواصل ومسألة الكفاية الإيدولوجية تضمن التواصل السليمة وبلوغ المقصدية الحقيقية للمرسل أما وضعية المرجع فتضمن القاعدة الأساسية للفهم والتأويل لعالم الخطاب .

الفصل الثاني:

المقاربة التداولية للحوار في مسرحية الليلة الأخيرة

المبحث الأول: الاستعمال التداولي للغة

المبحث الثاني: التعددية السياقية

المبحث الثالث: خاصية التضمين

المبحث الرابع: مبدأ الاختلاف

المبحث الخامس: مفهمة الإنسان للعالم

المبحث الأول: الاستعمال التداولي للغة

يبد أن الاستعمال التداولي للغة هو استعمال حواري من حيث المبدأ،لأن التداولية إذا كانت هي العلم الكلي للاستعمال كما يؤكد ذلك **شارل موريس**[1] (Charles-Maurice) فان استعمال اللغة عموما يطرح شيئين مهمين:

أ- الاتصال المضمر مع الآخر في مقام تواصلي محدد.

ب- مرجعية الاستعمال ذاته.

وإذا كان الاستعمال يطرح مبدئيا الاتصال المضمر مع الآخر، « فان الاستعمال التداولي الحواري يطرح اتصالا ظاهريا مع الآخر في سياق ومقام تواصليين محددين.لذا فخاصية الاستعمال التداولي الحواري هي الخاصية التداولية الأولى للتفاعل التواصلي المتعلق بالمتحاورين ومع الاستعمال التداولي الحواري تطرح التضمينات الحوارية

---

1 تقوم التداولية على مخطط موريس(1938) morris Charles م(الذى يؤسس فيه ثلاثة أجزاء من السيميوطيقا هى: النحو (دراسة علاقة العلامات فيما بينها) ، والدلالة (دراسة علاقة العلامة بالمرجع المشار إليه المعرب بها عن (، والتداولية (دراسة العلاقات بين المرسل والمستقبل وعلاقتهما بسياق الاتصال) (، وهو فى الوقت نفسه يفرق بين ثلاثة أنواع من القواعد وفقاً للأبعاد الثلاثة المذكورة ، وفيما يتعلق بالقواعد التداولية فإنها " تقدم الشروط التى تستخدم فى إطارها تعبيرات ، من حيث أن تلك الشروط لا يمكن أن تصاغ بمفاهيم القواعد النحوية والدلالية " ، ولكن ذلك لا ينصرف بالتداولية انصرافاً كاملاً إلى الأبعاد المعيارية ، فقد كان أول تحديد لوظيفة التداولية فى حقل اللسانيات هو تحديد شارلز موريس(1938) morris Charles م) " الدلالة تبحث فى علاقة العلامات بمدلولاتها ، والتداولية تهتم بعلاقة العلامة بمؤولها " الذى أقر دور الرؤية التداولية فى عملية التأويل ، وإن أخذ المؤول (interprétant) فى الاعتبار قد سبقه فى رؤية شارل ساندرس بيرس الذى جعل المؤول هو الحد الثالث داخل البناء الثلاثى للعلامة وفق تصوره ، " فالعلامة هى ماثول (Representamen) يحيل على موضوع (objet) عبر مؤول (interprétant) ، ويشكل المؤول أداة التوسط الإلزامى الذى يقود معطيات التجربة الصافية إلى التزيِّى بزى القانون والضرورة والفكر ، إن غياب العنصر الثالث داخل سيرورة إنتاج العلامة معناه الاقتصار على تجربة غفل لا تعرف الفكر ولا تعرف الماضى ولا المستقبل ، إنها مثيرات لحظية تنتهى بانتهاء اللحظة التى أنتجتها: ww.mohamedrabeea.com/books/book1_269.docx.

Implications conversationnelles التي تطابق كل ما تعلق بنسق التلميح Insinuation أو الإيحاء Suggestion »[1].

ومع مرجعية الاستعمال أصبح الاستعمال هو مرجع العلامات ومعه المستعملون هم المحددون لهاته المرجعية خلافا للتركيب Syntaxe أو الدلالة Sémantique اللذين يقصيان الاستعمال من مرجعيتهما.

وإذا كانت التداولية بذلك قد استحضرت الإنسان في اللغة فإنها استحضرت معه قيمة التفاعل وكيفت معه المعتقدات لكي يصير الاستعمال التداولي استعمالا حجاجيا واستدلاليا من حيث اضطلاعه بالدورة الحوارية كما يقتضيها التفاعل التواصلي بين أطراف الحوار.

فقيمة التفاعل التي تعتبر أساسا حواريا هي التي تضمن الفعل ورد الفعل بين المستعملين بما يحقق القيمة الاستعمالية للعلامات بين أفراد المجتمع، والقيمة التفاعلية تعني انصهار الجميع في تحقيق مرجعية العلامات:وهي مرجعية تداولية يحددها الاستعمال التواصلي بين المجتمع.

والخاصية الاستعمالية للغة لا تعني فقط إخراج اللغة التداولية من القوة إلى الفعل ولكن تعني مع ذلك استعمال كل الآليات المنطقية والبلاغية التي تصحب الاستعمال التداولي بين أفراد المجتمع. من هنا تصبح تلك الآليات وسائل ينفذ بها الأفراد أهدافهم الاقناعية والتوضيحية في نسق مضمون النتائج. على أن هذا الاستعمال التواصلي الحواري هو تفعيل لآليات منطقية مثل القياس والاستقراء والاستنباط، وآليات بلاغية مثل التشبيه والمجاز والاستعارة بغايات حجاجية استدلالية ،لأهداف اقناعية أو تفسيرية بهدف تحقيق التفاعل الايجابي بين أطراف الحوار.

---

1 فإن دايك. النص والسياق. استقصاء الحدث في الخطاب الدلالي والتداولي، ص267 .

المبحث الثاني: التعددية السياقية

إن مرجعية الاستعمال تستحضر مفهوما تداوليا مؤطرا للاستعمال اللغوي بين أفراد المجتمع وهو مفهوم السياق Contexte الذي يعطي الإطار الذي تشتغل فيه العلامات ويساعد في تحديد الوحدات الحوارية الكبرى.

فهناك **السياق المرجعي** الذي تحدد من خلاله العلامات قضايا الواقع حتى في جوانبها الإدراكية إلا أن الواقع بالمعنى التداولي ليس معطى نهائيا وقبليا بل يقبل التأويل إلى ما لا نهاية،أي أن الواقع لا يقبل الفهم بصورة نهائية "ليس الواقع مسألة شاهد مطلق بل هو مسألة مستقبل"[1].

يحدد هابرماس الافعال التواصلية على النحو التالي : " هي تلك الافعال التي تكون فيها مستويات الفعل بالنسبة للفاعلين المنتمين الى العملية التواصلية غير مرتبطة (3) بحاجيات السياسة، بل مرتبطة بافعال التفاهم ". و لاتفاهم بدون لغة؛ و هذا ما يبرر كلام المهتمين بهابرماس عن المنعطف اللساني لديه، و الذي يشير اليه هو بنفسه. و هو ما دفعه الى ادخال اللغة كعامل لفهم العلاقات التواصلية. فلتعزيز تصوره للفعل التواصلي من اجل فهم افضل للعلاقات الاجتماعية داخل المجتمع ذهب الى ان الفعل التواصلي يتميز عن غيره من الافعال الاخرى بأنه لا يسعى للبحث عن الوسائل التي تمكنه من التأثير في الغير، بل يبحث عن كيفية التوصل الى تفاهم معه و توافق متبادل دونما اكراه او قسر كيفما كان نوعهما.

---

1 مانفريد فرانك، حدود التواصل، ص53.

ادا كان التفاهم الغاية القصوى للفعل التواصلي، فانه لا يمكن تصوره بين الاطراف المتحاورة الا بشروط من اهمها عدم تأثير طرف على آخر لان دلك لو حصل يؤدي حتما الى فشل التواصل[1]

إلا أن هذا النفي الذي يطال الواقع الفعلي لا يلغي السياق المرجعي بل يفضي إلى مسألة الحجاج:" يقود إقصاء الواقع إلى المبدأ الذي يقول أن البراهين تقرر أي شيء،وهو مبدأ يفتح المجال أمام فلسفات الحجاج وتحليلات الجملة". إلا أن هذه المرجعية الحجاجية حسب منظور هابيرماس تنبني على الاستعمال اللغوي الهادف إلى التفاهم انطلاقا من دعاوى الصلاحية الموازية للأفعال اللغوية وهي دعاوى "الصدق (صدق القضايا) والجدية(جدية المتكلم) والصحة (صحة المعايير)[2]، إضافة إلى وضوح القول، هاته الدعاوى تهدف في تضافرها إلى تحصيل الاتفاق.

بعد السياق المرجعي هناك السياق المقامي الذي يحدد البواعث الاجتماعية المؤطرة للاستعمال الحواري،وهو سياق خارج لساني Contexte extra-inguistique تساهم فيه أطراف الحوار مساهمة توازي المناسبات الاجتماعية والثقافية والسياسية للقول الحواري.هذا السياق يبين من جهة ثانية تفسيرات للمضامين الحوارية الغامضة التي ما كان يمكن تفسيرها لولا الرجوع إلى هذا السياق.

وللسياق المقالي تأثير كبير في التبادل الحجاجي حينما يهدف هذا الأخير إلى التأثير على المعتقدات والسلوكات معا. ويظهر هذا في حالة التنازع الذي يهدف "في صورته الحربية إلى إفحام الخصم والانتصار عليه بشتى الطرق[3]". إلا أن حالة التنازع لبست الحالة الوحيدة التي يحيل عليها السياق المقامي بل هناك حالات الإجماع التي يدافع عنها هبرماس

ينظر: 1 مانفريد فرانك، حدود التواصل، ترجمة عز العرب الحكيم بناني، الدارالبيضاء،2002، ص 15 و 2 - J.Habermas, Theorie de l'agir communicationnel, Trad .JM. Ferry, Paris, 1987, .T.1, p.9

2 المرجع نفسه: ص55.

3 المرجع نفسه، ص8.

حينما يفترض"إمكان نقل ظروف التواصل المثالية من العلوم إلى المجتمع[1]". وذلك بفضل التداوليات الكلية التي تعني "وجود بنيات تبلغ منتهى العموم والإحاطة (أو وجود شروط كلية"موضوعة أمام التواصل ما دام التواصل هو هدف الحوار[2]". إذن موضوع التداوليات الكلية هو تعداد الشروط الضمنية التي على أطراف الحوار أن يقروا بها قبل الدخول في التعاون التواصلي وأثناء مجرياته. ولا تعد وأن تكون هاته التداوليات الكلية سوى دعاوى الصلاحية المذكورة آنفا والتي يفصلها مبدأ التعاون الكرايسي بتدقيق.

هذا المبدأ الذي يتضمن الشروط الأساسية للحوار يمكن تلخيصه على النحو الآتي.

المساهمة في التواصل بالطريقة المطلوبة للهدف المعروف للتواصل وفي اللحظات المناسبة. هذا يلخص المبادئ الأساسية للحوار التي يفصلها كرايس إلى مبادئ إخبارية خالصة: الإخلاصSincérité، الملاءمةPertinence، والصيغ Modalités. فمبدأ الإخلاص يضم مستويين:

- الكمية Quantité: إعطاء كل الخبر الضروري وليس أكثر.
- الكيفية Qualité: لا نقول إلا الصدق.

بينما نجد مبدأ الملاءمة في مستوى العلاقة: أي أن تكون المساهمة الحوارية ملائمة، وثيقة الصلة بالموضوع.

أما مبدأ الصيغ فنجده في مستوى الطريقة: أن يكون صاحب القول واضحا غير غامض وأن يكون موجزا.

هذا يبين أن المبادئ الأساسية للحوار لا تختلف من حيث هدفها عن دعاوى الصلاحية **لهابرماس**، في كونهما يهدفان معا تأطير التبادل التواصلي وإعطائه ضمانات النجاح والفعالية، كما أنهما معا يعطيان للسياق المقامي الحدود المعرفية والتواصلية الضامنة لسير جيد لمجريات التبادل الحواري.

---

1 المرجع السابق، ص9.

2 المرجع نفسه، ص54.

ثم هناك السياق التفاعلي Contexte interactionnel الذي يسجل العلاقة التي تجمع أطراف الحوار أثناء تفعيل التبادل، وهي تبين استجابة ممثلي الخطاب لمقتضيات الحوار من مشاركة وإشراك في الرأي وتبادل المواقع الحوارية والمساهمة في إيصال الحوار إلى آفاق معرفية وثقافية مقبولة إلى كل أطرافه. ومن خاصيات السياق التفاعلي مساهمته في تطور المضامين الحوارية من جهة وتفسيره لبعض الآفاق الإشكالية التي يصل إليها الحوار، لأن تفاعل المشاركين يساهم في مد الحوار بمضامين متجددة ما كان ليصلها الحوار لولا تفاعل أطرافه. هاته المضامين التي تجعل الحوار يصل إلى معلومات تساهم في إشراك حتى المتتبعين في التفاعل التواصلي. كما أن هذا السياق يساهم في توضيح بعض الدلالات الغامضة التي يصل إليها الحوار، لأن الإفراط في تفاعل أطراف الحوار يمكن أن يصل بهم إلى آفاق إشكالية يصعب على المتتبع العادي فهمها، إلا أن سياقها التفاعلي يكون كافيا لتفسير ما وصل إليه الحوار من مضامين غامضة.

ويعتبر التأويل جزءا مهما من السياق التفاعلي، لأنه يمارس بصورة دائبة أثناء الحوار ويساهم في تطور المضامين الحوارية. بل أن التأويل هو الذي يعطي للمضمون مكانه في سياق الحوار. لأن العلامات في ذاتها وفي استقلال عن تأويل تظل فارغة من أي معنى. فالتأويل الذي يمارسه المحاور يساهم بكيفية جوهرية في إدخال هذا الأخير إلى السياق التفاعلي الحواري وبالتالي خلق التسلسل في إجراء الحوار.

والتأويل هو ما يخلق الاختلاف بين المتحاورين، لأنه ممارسة فردية وبالتالي يكون مسؤولا عن تعدد رؤى أطراف الحوار. « والاختلاف أقدر على الابتكار من الإجماع»[1].

1 المرجع السابق، ص70.

كما يؤكد ذلك **جان فرانسوا ليوتار** « حين يبين أن وجود عدد كبير ومتباين من الألعاب اللغوية علاوة على منطق اللاعقل داخل النظام المشفر، يضمنان حظوظا أوفر لتنمية المعنى من الحظوظ التي يوفرها المفهوم المتجانس والكلياني للنظام اللغوي»[1].

والسياق التفاعلي يصف مستويات متكاملة من العناصرالمساهمة في إجراء الحوار من بينها تفاعل أطراف الحوار، ذلك أن المكانة الاجتماعية أو السياسية أو الثقافية تتدخل في فاعلية التبادل الحجاجي ومقبولية الحجة أو رفضها، كما تتدخل في إعطاء المكانة للمضامين الحوارية المتبادلة. ومن بين المستويات أيضا تفاعل سيرورتي الإنتاج والتأويل التي يمارسها أطراف الحوار بكيفية دائبة وتخلق التسلسل الخطابي والارتباط الحواريبين ممثلي الخطاب. كما أن السياق التفاعلي يصف مستويات لسانية وخارج-لسانية في اللحظة ذاتها حينما يكون التفاعل قائما بين أطراف الحوار من جهة والمضمون الحواري من جهة ثانية، ذلك أن التفاعل بينهما يعني إدراك المضامين والتجاوب مع تطورات الحوار وتفهم التأويلات والمشاركة في تقدم الحوار إلى مستويات لم تكن له في السابق وما كان له أن يصلها لولا تحقق ذلك التفاعل.

1 المرجع السابق، ص70.

المبحث الثالث: خاصية التضمين

وتعتمد خاصية التضمين على مبدأين أساسيين وهما التضمين والاختلاف.

1- خاصية التضمين Implicature

التضمين من الآليات التداولية المساهمة في التفاعل الحواري وخاصيته إما أن يكون معجميا مستقرأ بواسطة وحدة معجمية خاصة، أو حواريا متعلقا بنسق التمليح أو الإيحاء. والفرق بين التضمين والاقتضاء كون العلاقة التضمينية بين ملفوظين تعني أنه من المتناقض تأكيد الأول وإنكار الثاني، بينما العلاقة الاقتضائية بين الملفوظين تعني أن صدق الأخير شرط لصدق الأول.

يتضمن هذا الحوار موضوع الزواج بشقيه التضميني والاختلاف:

« **شهريار:** أن تعلن في الناس أن يوم الجمعة القادم يصادف مرور خمس سنوات على زواجي من الملكة نور العيون. وكل فتاة تتزوج يوم الجمعة تكون كلفة عرسها على حساب الدولة.

حيران: سأتزوج يوم الجمعة يا مولاي.

نور العيون: (ضاحكة) أأنت فتاة يا حيران؟

حيران: أصير فتاة. وإن شئتِ أصير فرساً أو بقرة.

شهريار: وإن زوجناك ثوراً أو حماراً؟

حيران: أشارك فيه الوزير ماهين»[1].

---

1 سرحان بلبل، الليلة الأخيرة، ، ص22.

أما دورها التفاعلي فيكمن في إقناع المحاور بأقل تكلفة لسانية أي أن المتكلم يوجز المستوى اللساني ويقول الشيء دون أن يقوله بتعبير **أوزفالد** . إلا أن التضمين الحواري تكمن قيمته في علاقته المرجعية بوقائع الحال من جهة ووصوله إلى المحاور من جهة ثانية، وهذا يتطلب شيئين أولا الامتثال للمبادئ الأساسية للحوار من طرف المتكلم وذلك لكي يرتبط التضمين بمرجعية صادقة ويكون واقع الحال الذي يخلقه ليس مغلوطا، وثانيا امتثال المحاور للمضمون الذي آل إليه التضمين الحواري إما بالتصديق أو الإدعان، وهو ما يعني إشباع التضمين الحواري بسلوك موازي من طرف المحاور[1].

1 فإن دايك. النص والسياق. استقصاء الحدث في الخطاب الدلالي والتداولي، ص269 .

المبحث الرابع: مبدأ الاختلاف

إن المقاربة التداولية قبل أن تقف على الاستعمال الحواري والتعدد السياقي والتضمين لابد وأن تتبع كل العناصر المسؤولة عن التفاعل التواصلي داخل الحوار. ودراسة دقيقة لما قدمه برنار **بوتيي** B.Pottier في كتابه النظرية والتحليل في اللسانيات[1] يساعد على الوقوف على معظم العناصر المساهمة في التفاعل داخل الحوار.

أول هاته العناصر هناك **مبدأ الاختلاف** وهو أول مبدأ تداولي حواري، فإذا كان هذا المبدأ بالنسبة لليوتار مسؤولا عن الابتكار وهو أقدر من الإجماع على خلق الإبداع. فإنه بالنسبة لبرنار بوتيي حقيقة أنطولوجية مسؤولة عن خلق الإنسان للحوار وذلك حينما أكد أن ((كل إنسان وحيد في خصوصيته، يملك لغة فردية تميزه عن الذي بجانبه أكثر قربا [2]. هاته الحقيقة تؤكد التعددية السننية بين الأفراد مما ينجم عنه تعددية في شكل العلاقات الحوارية بينهم فهناك التساوي وهو علاقة مرآوية، وهناك الاختلاف وهو العلاقة التي تعكس حقيقة اللغات الفردية.

وخلاصة القول أن الاختلاف يبتدئ من اختلاف اللغة الفردية عن لغة الآخر، وهو وجه تداولي للتعدد السنني في التواصل. وهذا الاختلاف أو التعدد السنني هو ما يشكل الحقيقة المؤسسة للحاجة إلى الحوار، بل أن اختلاف اللغات الفردية هو الذي مهد الطريق أمام الحوار واستوجبه بين الناس. وهذا الاختلاف في اللغة الفردية يستتبعه الاختلاف في الرأي، وهو اختلاف أدعى للحوار- لأنه منشأ التصادم بين أكثر من رأي. ويعتبر هذا الاختلاف من الأسباب المؤدية لاحتدام لحوار وتطوره، لذلك فإنه مسؤول عن الإبداع في المضامين الحوارية وفق ما يقتضيه التبادل الحواري بين الأفراد.

---

1 Théorie et analyse en linguistique. .p9.

2 lipd.p9.

(شهريار ينظر إلى ماهين وعيناه تقدحان شرراً. يسحب سيفه ويقتحم الغرفة. يضاء ستار وراء باب الغرفة. سيف شهريار يهوي على الشاب ثم على نور العيون)
(يسمع صوت صرخة دردبيس. دردبيس تخرج باكية وترتمي عند ماهين).

دردبيس: قتلها. قتلها.

(يخرج شهريار والسيف في يده)

دردبيس: مولاي..

شهريار: لا تنطقي بحرف واحد. اقترب مني يا وزير.

(ماهين يتردد)

شهريار: (يصرخ بصوت عاصف) اقترب.

(يقترب ماهين)

شهريار: الليلة تزوجني فتاة عذراء صغيرة جميلة.

(ماهين يحمل دردبيس ويخرج)

(إظلام خفيف)

(ماهين يدخل مع فتاة. دردبيس واقفة قرب ماهين. شهريار يشير إلى الفتاة أن تدخل غرفة النوم. يلحق بها شهريار)

دردبيس: (وهي تبكي) يقتل زوجته في الصباح ويتزوج غيرها في المساء؟

(تضاء ستارة غرفة النوم. سيف شهريار يهوي على الفتاة. دردبيس تضحك بنوع من الهيستيريا وهي تنتفض)

دردبيس: هذا جزاء من ينام في فراش سيدتي نور العيون.

(بعد لحظات يخرج شهريار)

شهريار: الليلة تزوجني فتاة عذراء صغيرة جميلة.

ماهين: مولاي..

شهريار: لا تنطق بكلمة واحدة يا أبله.

إظلام[1]

وينتهي الاختلاف بالتأثير على نوعية العلاقة بين المتحاورين حيث تنتقل العلاقة من التساوي الذي هو سلوك حواري مرآوي إلى الاختلاف الذي يخلق سلوكا حواريا مكملا يجعل المتحاورين في علاقة يكمل فيها كل طرف الطرف الآخر.

1 سرحان بلبل، الليلة الأخيرة، ، ص77.

المبحث الخامس: مفهمة الإنسان للعالم

وهي الخاصية التداولية الثانية الملازمة للاستعمال الحواري، ذلك أن المفهمة Conceptualisation تشكل المضمون الحواري الأول لذلك الاستعمال: ((من ضمن ما يدركه الإنسان يحتفظ بعدد من العناصر التي يفهمها إلى غايات تعبيرية لسانية. رؤية العالم هي تحويله إلى مصادرات من الابتذال الملاحظ (الذوات Entités مثل الكائنات والأشياء) وإلى إبداعات تفسيرية Créations interprétatives جد قوية (السلوكات، نحو الأفعال والأفكار)[1].

إن **مفهمة العالم تعني إدخاله إلى عالم التعبير اللساني وبالتالي تحويله إلى إبداعات تفسيرية أي مادة حوارية بين الناس**. هذا يعني أن عملية المفهمة تسبق الاستعمال وتلازمه أثناء تفعيل الخطاب، كما أنها أي المفهمة تواكب الاختلاف، لأن الاختلاف في اللغة الفردية يعكس اختلافا في المفهمة في المرحلة الأولى ما دامت هاته المفهمة تشكل شروعا في التعبير.

والمفهمة تتضمن المبدأ التداولي الثالث الذي يتضمن عنصرين **قصدية الأنا** Intentionnalité du je، ثم **المتلفظ** Sujet de l'énonciation، وهما العنصران المنفذان للمهمة والمجسدان للاختلاف، قصدية الأنا هي المسؤولة الأولى عن اختلاف اللغات الفردية، كما أن المتلفظ هو المؤسس للعلاقة الحوارية، حين يريد أن يعبر فإنه يتكلم من أجل كل البواعث خاصة الباعث الحواري، فالخطاب دائما تظهر الأنا الذي يصوغ ملفوظا. من هنا الوضع الأساسي والموحد بالنسبة لكل اللغات في وجود فئات كبرى من المدلولات نحو القرينة الإشارية Deixis التي تساهم في إرساء الخطاب، ثم الطريقة modalité أي ممارسة الأنا لفكرة النقدي على الملفوظ، إضافة إلى التدرج المقصدي نحو الاقتضاء والإضمار.

---

1 Théorie et analyse en linguistique.p10.

ورغم أن هاته الخصائص تنتمي للمقاربة التداولية للتفاعل التواصلي فإنها تلتقي جزئيا بنظرية التواصل خاصة عندما قدم برنار بوتيي خطاطة[1] **الميتا-حوارية** تعكس العناصر التداولية المساهمة في التفاعل الحواري:

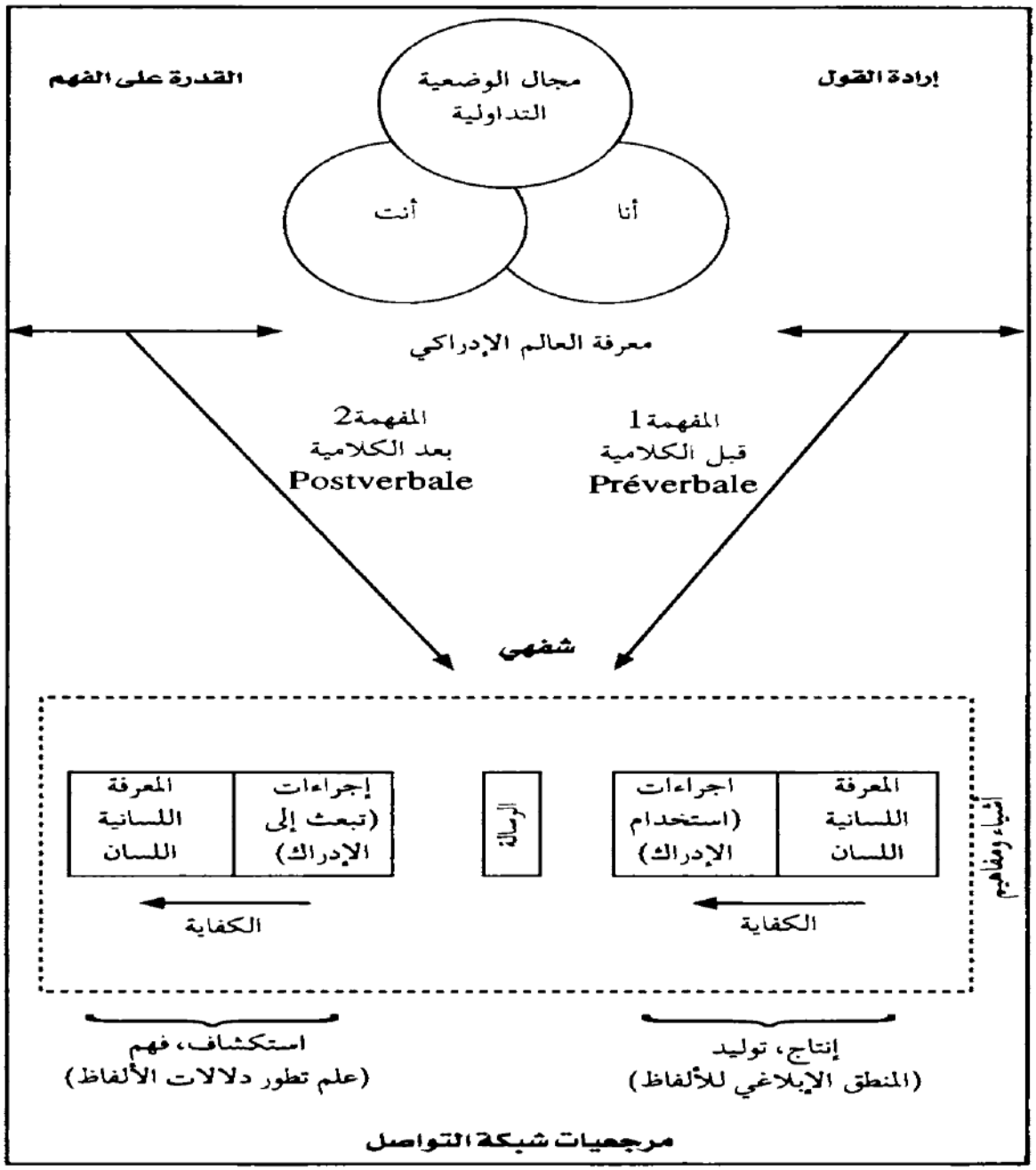

1 Théorie et analyse en linguistique.B.Pottier.p14.

تحليل الخطاطة

إن الخاصية المهيمنة للمقاربة التداولية للتفاعل التواصلي عند برنار بوتيي هي حصره للنشاط الحواري بين المرسل والمتلقي في مجال سماه مجال الوضعية التداولية Empire de la situationt pragmatique وهو نطاق تتحرك في إطاره أنشطة الأنا والأنت بين إرادة القول Vouloir dire والقدرة على الفهم Pouvoir comprendre.

إن هاته الرؤية التداولية للتفاعل التواصلي تقتضي أخذ المتكلم Le locuteur نقطة انطلاق، طبعا لقدرته التركيبية لكن أيضا وبالدرجة الأولى بملكة إدراكه للعالم (حقيقي أو خيالي) في إرادة القول الذي عبر عملية المفهمة ستصبح ممكنة القول بلسان طبيعي أي الشروع في التعبير.

هذا المستوى قبل الكلامي Pérverbale أساسي في تقديم إرسالية ما، أي أنه مستوى انطلاق الإجراء الحواري، وبالتالي يكون مسؤولا عن المشاركة من طرف المتكلم. وأهمية هذا المستوى قبل-الكلامي يوازيه من حيث الأهمية العملية التي يقوم بها المحاور وهي العملية بعد-الكلامية Post-verbale عند التلقي أي إتمام المشاركة الحوارية من الطرفين الأنا والأنت.

وعن المكونات التداولية لهاته الخطاطة الميتا-حوارية يمكن أن نفصلها على النحو التالي[1]:

التالي[1]:

أ- "أنا وأنت هما متحاوران يفترض فيهما أنهما يشتركان في بعض المعرفة عن العالم، الذي يمكن تسميته المجال المعرفي Plan cognitif (ذاكرة طويلة)"[2].

هكذا نسجل **الحقيقة الحوارية للأنا والأنت، المتكلم والمخاطب،** الأنا المتلفظ الذي يستحضر الأنت كمشارك في التبادل الحواري، وهما معا يوجدان في وضعية تواصلية حوارية وعي مجال تداولي يعطيهم إخبارات يمكن استعمالها حواريا.

---

1 فإن دايك. النص والسياق. استقصاء الحدث في الخطاب الدلالي والتداولي، ص269 .

2 Théorie et analyse en linguistique:B.Pottier.p13.

ويمكننا فهم ذلك من خلال الحوار الدائر بين الملك شهريار والقاضي:

القاضي: رأي الوزير ماهين في الحرب والسياسة أهم من رأيي.

شهريار: سأعرف رأي الوزير. وأريد أن أعرف رأيك[1].

كما أن مفهوم الوضعية التداولية توجد فيه أيضا لحظة سلسلة الخطاب La chaîne de discours، الذي يجعل المقام قبل-النصي يبرز بوضوح وبكيفية إجبارية على النص الذي هو في طور الإنجاز.

حينما يتحدث الأنا فإنه يؤسس علاقة مع العالم، بمعنى أنه يقع على مرجع يمكن أن يدرك حسيا: إما أن يكون مرئيا أو صوتيا جهوريا أو لمسيا...

كما أن المرجع يمكن أن يكون خياليا أي ما عبر عنه برنار بوتيي بالفكر المفكر "Pensée Pensante". والمرجعية الدائمة في هذه المسرحية هي كتاب ألف ليلة وليلة وقصة الملك شهريار وشهرزاد بكل أبعادهما الإنسانية والأسطورية والفلسفي وعلى كل حال هذا المرجع الحسي أو الخيالي هو نقطة انطلاق النشاط الحواري وتتميز بكونها غير قابلة للجرد وغير محدودة، لكنها من أجل الدخول في نموذج اللغة الطبيعية يجب أن تخضع لعملية المفهمة.

أما عن المفهمة [2] قبل-الكلامية La conceptualisation pré-verbale مرحلة تمكن مثلا من اختيار نمط الوقائع سواء أكانت سكونية أو تطورية أو سببية، واختيار جوانب المرجع التي سيتم الاحتفاظ بها. المتكلم لا يقول إلا جزءا ضئيلا جدا من الذي يمكنه إدراكه أو تخيله، أمام مشهد واقعي لن يقول إلا بعض العناصر. هاته العملية تنفتح على الكفاية اللسانية للأنا التي ترتكز على معرفة الوحدات: مورفيمات وألفاظ...وقواعدها التآلفية من الجانب التركيبي والخاصيات الدلالية التي تنعكس على مستوى ترتيب الدوال. وهذا كله لا

1 سرحان بلبل، الليلة الأخيرة، ، ص82.

2 فإن دايك. النص والسياق. استقصاء الحدث في الخطاب الدلالي والتداولي، ص263 .

يمكنا تحليله هنا بل حين يكون الكلام شفويا مركزين ذلك على الفونيمات والمورفيمات والميتا مورفيمات.

وهكذا نسجل وصفا تداوليا لسيرورتي الإنتاج والتأويل بين كفايتين حواريتين كفاية الإرسال وكفاية الاستقبال. كما نلاحظ أن **برنار بوتيي** في مقاربته التداولية لخصائص التفاعل التواصلي بالرغم من عدم استعماله لمفهومي عقد السنن وحله، فانه أدرك أن مرحلة الإنتاج وتوليد الإرسالية، التي هي مرحلة تهم المرسل حيث يستخدم فيها كفايته اللسانية إضافة إلى إجراءات استخدام الإدراك المعرفي هي بذلك مرحلة العقد السنني للإرسالية الحوارية. أما المستقبل فان إجراءاته التي تبعث إلى الإدراك المعرفي إضافة إلى استخدامه للكفاية اللسانية هما الكفيلان باستكشاف الرسالة الحوارية وفهمها أي الحل السنني لها.

وبالرغم من أن مقاربته التداولية لم تشر إلى الكفايات المتعددة التي تتوفر لدى المتحاورين، فان استحضار هاته الكفايات في رؤيته تبدو واضحة، خاصة منها الكفاية الموسوعية والثقافية التي تهم سواء الإنتاج أو التوليد أو الاستكشاف والفهم. وهذا ما يعكسه مصطلح إجراءات استخدام الإدراك أي الإدراك المعرفي، وهي إجراءات تفّعل الكفايات من أجل إنتاج وتوليد الإرسالية. ويتجسد التفاعل التواصلي بين المتحاورين الذي يتخذ مظاهر نجملها فيما يلي[1]:

أولا: مظهر التبادل بين ممثلي الخطاب، والتبادل باعتباره الوحدة الحوارية الدنيا المكونة للتفاعل، هو المظهر الحواري الأساسي الذي يجمع أطراف الحوار، إذ به يتحقق الإجراء الكلامي المؤسس للعلاقة، وبه تتحقق سلسلة الخطاب المكونة للحوار. وبذلك يعتبر التبادل الحواري ماهية دينامية المجموع و مكونه التفاعلي الذي يرتكز عليه...كما في المثال:

(شهرزاد ودردبيس وماهين وحيران في مجلس الحكاية. شهريار واقف عند لنافذة).

شهرزاد: إن كنت لا تطيق السماعَ أجَّلنا الحكاية إلى ليلة الغد.

شهريار: من قال إني لا أريد سماع الحكاية؟

شهرزاد: اجلس مكانك إذن.

---

1 ينظر: المرجع السابق، ص267 .

شهريار: (بتهديد وهو يجلس) أريد حكاية مسلية ليس فيها عبرة أو فكرة. وإلا...

شهرزاد: (على هدوئها) أرى مولاي متغيّر القلب عليَّ هذه الليلة.

شهريار: (يهز سيفه في وجهها) وأراك نسيت أنك ما زلت مرصودة للقتل.

شهرزاد: وتهددني أيضاً؟[1]

ثانيا: مظهر تغير المواقع بين أطراف الحوار وهو تجسيد للتفاعل الذي لا يبقي لطرفي الحوار موقعا قارا، بل أن موقعهما يخضع للدور التلفظي التابع لتطور الحوار. وتغير المواقع يكون نتيجة حتمية للوضعية التي يخضع لها ممثلو الخطاب بين عقد السنن وحله وبين الإنتاج والتأويل أي بين السيرورات التي يمر منها التبادل.

ماهين ستحكي لك الليلة أجمل حكاية. تكلمي يا مولاتي.

شهريار: ليست مولاتك.

شهرزاد: وتنكر أنني زوجتك الملكة أيضاً؟ ما أقسى حالك أيها الملك.

شهريار: (يصرخ) كفى. تكلمي.

شهرزاد: بلغني أيها الملك السعيد. ذو العقل الرشيد والعمر المديد، أنه كان في طرابلس الشام، في قديم الزمان... ملك يقال لـه عمر النعمان. وكان له ولد يسمى الأمير شِركان. وكان شاباً في العشرين. مشهوراً بالقوة والساعد المتين. وقد أحب الملكة إبريزة العزيزة بنتَ ملك القسطنطينية عدوِّ أبيه. وطلب أن يتزوجها وإلى قصره أن يُدخِلها. فرفض الملك عمر النعمان هذا الزواج وقال له: أتُدخل الأفعى إلى بيتك، وتُجلِسها في حجرك؟[2]

ثالثا: تفعيل الكفاية اللسانية والإدراكية في مسار التبادل أي أن أطراف الحوار كل من جهته يفعّل كفايته اللسانية والإدراكية حسب دوره في التبادل: من جهة هناك كفاية الإنتاج والتوليد ومن جهة ثانية هناك كفاية الفهم والتأويل، وتبادل المواقع بين أطراف الحوار يجعل الكفايتين تدخلان الإجراء الحواري حسب الدور التلفظي لممثلي الخطاب، أما أن يكون

---

1 سرحان بلبل، الليلة الأخيرة، ، ص88.

2 المصدر نفسه، ص88.

طرفا مرسلا فيبدأ بإرادة القول أي بعقد السنن، أو يكون مستقبلا فينتهي بالقدرة على الفهم أي حل السنن، وفي المسارين معا تحظر الكفاية اللسانية و الإدراكية كمحركين أساسين للتبادل الحواري.

كما أن هاته الدينامية الحوارية لا تخلو من تشويشات، فالحوار يمكن أن يشوش بواسطة ضوضاء متعددة، وذلك بالنظر لمستويات التقاطعات المختلفة كأن يكون المتحاوران من ثقافتين مختلفتين، أو في حوار عبر الهاتف أو في عالم الشعر إنها حالات مرضية تتسم بها مستويات الحوار، إنها تشويشات تهم جانبين جانب إرادة القول من قبل المرسل، وجانب قدرة الفهم من قبل المستقبل. نسجل أيضا في هاته الدينامية كون فعل القول يغير لدى كل شخص مجموع المعرفة اللسانية، وذلك بالنظر لتأثيرات المعنى والتضمينات التي تندمج تدريجيا في الكفاية، هذا يعني أن فعل المشاركة الحوارية لا تخلو هي نفسها من تأثيرات دينامية على المرسل، فالدينامية هي التي تنشئ التغيير في المعرفة اللسانية بل تتعداه الى المعرفة عن العالم وذلك بشكل طبيعي، لأن التغييرات الطارئة على المعرفة اللسانية تؤثر على الكفاية الموسوعية أي مجموع أنظمة التقويم و التأويل. هذا يعني أن المكون اللساني يتموقع في استمرارية تطورية خاصة.

ج- تعالقات مكونات التفاعل الحواري من منظور تداولي: تسجل المقاربة التداولية للتفاعل التواصلي عددا من التعالقات بين مكوناته سنحلل الأساسي منها:

1-يتكون المسار اللساني الحقيقي من المفهمة، الكفاية والنص الحواري (مع السياق الضروري)، المفهمة إجراء تداولي يهم مرحليتين: مرحلية قبل-كلامية متعلقة بالمرسل، ومرحلة بعد- كلامية متعلقة بالمستقبل، والمفهمتان معا متعلقتان بقضية العلاقة مع العالم التي تحكم إرادة القول والقدرة على الفهم المتحركان في مجال الوضعية التداولية، هاته الوضعية التداولية تجعل سيرورات المفهمة في ارتباط وثيق بمعرفة العالم الإدراكي، لأن ممثلي الخطاب يفعّلون مفهمتهم انطلاقا من إدراكهم للمستوى المعرفي الذي يستقون منه المعاني و المضامين القابلة للمفهمة.

العنصر الثاني في المسار اللساني التداولي هو الكفاية La compétence إذ قبل إنتاج الإرسالية الحوارية هناك كفايتان تسبقان هاته العملية، الكفاية الأولى هي المعرفة اللسانية التي تسمح بإعطاء المفهمة البعد اللساني الكفيل بإنتاج الرسالة الحوارية، إلا أن عملية الإرسال الحواري تسبقها كفاية ثانية هي الكفاية المعرفية التي تسمح لممثلي الخطاب باستخدام إجراءات إدراكية معرفية في إنتاج مكونات الحوار.

العنصر الثالث في المسار اللساني التداولي هو النص الحواري Le texte Conversationnel المنتج في علاقته بالسياق، أي مجموع الرسائل التي تم إنتاجها في سياق معين، وعلاقة النص الحواري بالسياق كفيل بإعطاء توضيحات على مجرياته. لأن السياق يتحدد بالأساس من العناصر الخارج-لسانية المتحكمة في الحوار خاصة عناصر الإنتاج الممثّلين بأطراف الحوار وكذا الظروف الاجتماعية والثقافية المتحكمة في المضامين الحوارية. والسياق الأكثر تأثيرا في بلورة النص الحواري هو السياق التفاعلي الذي يبين وضوح مدى تفاعل أطراف الحوار مع المضامين مما يخلق الظروف الملائمة بتطور الحوار إلى مستويات تعكس تعدد مقاصد وأهداف أطرافه.

2-**شروط التواصل الحواري:** تنقسم شروط التواصل الحواري بحسب دورها الكرونولوجي غالى ثلاث مراحل:

أ- **الشرط المعرفي:** وهو سابق على الارسالية الحوارية ويمثل مجموع المعارف المحفوظة التي تكون حاضرة في كل لحظة في انتظار التفعيل ويمكن اعتبارها الخزان المعرفي الذي يستقي منه ممثلو الخطاب مضامينهم الحوارية.

ب- **الشرط المقامي:** متزامن مع الإرسالية الحوارية ويبعث لمجموع مناسبات التواصل الحواري، هذا يعني تدخل المستويات السياقية بكل مكوناتها خاصة مقام التواصل أي الظروف الزمانية والمكانية إضافة إلى المناسبات العامة للتبادل الحواري.

ت- **الشرط القصدي:** وهو شرط موجود بالقوة لدى المرسل بشكل سابق عن الإرسال الحواري، ويتمظهر في الإرسالية بمكوناتها الظاهرة والمضمرة، إلا أن تمظهر

هذا الشرط لدى المتلقي يكون بعديا أي بعد الإرسال الحواري وذلك بواسطة التأثيرات الاستجابية سواء بالإذعان أو الرفض أو غيرهما.

3- **ارتباط القول الحواري بمحيطه التداولي**: ((كل قول Enoncé يفترض فيه أنه منتج في محيط تداولي محدد الذي يمكن أن نسميه بالتأطير Le cadrage (مجموع المصاف الانتقائية)[1]. هذا التأطير التداولي للقول الحواري يحدد سياقه العام ويفسر مضمونه بما يخدم تداوله بين المستعملين، وهذا التأطير يحدد في ثلاث نقط أساسية:

أ- أن مجال التجربة يمكِّن من فهم بعض الأقوال أي مساهمة السياق الخارج-لساني في توضيح مضمون القول الحواري، نظرا لأن السياق يمد المحلل بالمعاني التي أطرت استعمال ذلك القول.

ب-مساهمة المجال الفضائي والزمني في تأطير المضمون الحواري تعد مساهمة تداولية تمكن القول الحواري من استكمال سياقه الاستعمالي، ويتم التعبير عن هذا المجال في الغالب قبل المضمون الأساسي.

ت-الملاءمة التداولية: وهي قيمة تكسب القول الحواري الملاءمة الاستعمالية وهاته الملاءمة إما نوعية شاملة أو مختصة، مثلا في القول:

((يجيب جيدا)): نجد شرطين لملاءمته، الأول نوعي شامل وهو((إنه مجيب جيد))، والثاني مختص وهو: ((أراه الذي يجيب جيدا)).

4-**إن الرسالة الحوارية الشفاهية تكون مرفوقة** في كثير من الأحيان ببعض المظاهر المنتمية لأنظمة سيميولوجية أخرى كالحركات والصور...، تلك الأنظمة التي يمكن اعتبارها موازية لسانية Para-linguistique، فالحركات الميمية المصاحبة للقول تدخل في صميم الكفاية المتعلقة بالمرسل، أما الصور فإنها أنظمة سيميولوجية موازية للنظام اللساني.

---

1 Théorie et analyse en linguistique.B.Pottier.p16.

تجسد هاته التعالقات متضامنة تفاعل كل العناصر التداولية في الإنجاز الحواري، فإذا كان للحوار ثلاثة مظاهر أساسية: مظهر لساني، مظهر مقامي، ومظهر تفاعلي، فإن هاته المظاهر تتحكم فيها عناصر تداولية تحكم مشهدها الملازم لأي سلوك حواري. وتشاك لهاته العناصر التداولية هو ما يعطي الأهمية للمقاربة التداولية للتفاعل التواصلي.

وهكذا يمكننا القول أن التفاعل الحواري يلزمه العديد من المحاور والتداخلات لتحديد الرسالة وفي معطاه التداولي التواصلي الساني وغير اللساني وخاصة في الحوار الفني المسرحي .

الخاتمة :

وفي الأخير يمكننا القول بأن الحوار هو مرتكز الحياة من جهة وهو أحد أهم عناصر البناء النصي وخاصة في الأعمال السردية وعلى رأسها المسرح، لأن الحوار دعامة للنص المسرحي وأهم فقرات بنائه، ولا يمكن أن تنهض فكرة العمل بدون حوار.

وقد حاولنا في هذه الدراسة أن نبين أهمية التطرق إلى الحوار من وجهة نظر تواصلية وتداولية غير مباشرة لفهم الخلفية الكامنة وراء المعني الظاهري للحوار أيا كان شكله ومكانه وزمانه، كما حاولنا اسقاط أهم مكامن الحوار التواصلية والتداولية على الحوار في مسرحية الليلة الأخير لفرحان بلبل اجابة منا على السؤال الجوهري للمذكرة محاولة توضيح أهم الخصائص التواصلية والتداولية للحوار عموما وفي مرسرحية الليلة الأخورة كنموذج تطبيقي لفهم هذه الآليات التواصلي توالتداولية.

وتاكيد الدور التواصلي الرمزي للحوار وأبعاد التواصل الترميزية و الحجاجية والدور السياقي الذي تلعبه في تحميل الحوار دلالته التداولية المقامية والمرجعية.

وخلصنا في هذه الدارسة إلى التأكيد على ضرورة النظر إلى الحوار الغني السردي عموما والمسرحي خصوصا من وجهة نظر تواصلية وتداولية لربط أواصر القرابة الدلالية بالسياقية والرمزية وكشف المكامن الحجاجية من خلال التركيز على تحليل المقاربات التواصلية للحوار من ميكانيزمات ، تقابل وتكامل، مضمون وعلاقاته المختلفة، الميتاحوارية أو الفوق حوارية والتأكيد على الإنتاج والتأويل للمعاني التراكمية الجديدة المبثوثة بين ثنايا الحوار الفني.

كما أكدنا على المقاربة التداولية للحوار وهي الضمان الأمثل للاستعمال التداولي للغة من جهة وللتعددية السياقية في أطرها المقامية والزمانية التي تشع من خلال النصوص وضرورة الانتباه للاختلاف الفني والفكري في الحوار وكذا خاصية التضمين في النصوص وفي الحوار الفكري الفني وبالخصوص الحوار المسرحي في مستوييه المكتوب والشفوي للوصول إلى مفهمة الإنسان للعالم.

المصادر والمراجع :

المصادر:

1. محمد نظيف، الحوار وخصائص التفاعل التواصلي دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية، دار افريقيا الشرق، 2010.
2. سرحان بلبل، الليلة الأخيرة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، 2005.

المراجع بالعربية:

3. آن روبول . جاك موشلار . التداولية اليوم . ت : سيف الدين دغفوس . د. محمد الشيباني . بيروت : المنظمة العربية للترجمة . ط1، 2003.
4. اوزوالد ديكرو : جان ماري شايفير . القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان . ت. د. منذر عياشي . بيروت : المركز الثقافي العربي . 2007 ، ص45. 47.
5. جورج يول، التداولية، تر، قصى العتابي، ط1 ، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت،2010 .
6. ديكرو أزولد، جان ماري سشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم الإنسان، ت: د.منذر عياش، بيروت : المركز الثقافي العربي، 2007، ص67.
7. طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، 2000، الدار البيضاء المغرب، ط2.

8.مانفريد فرانك، حدود التواصل، تر: عز العرب الحكيم بناني، الدار البيضاء، 2002 .
9.محمد نظيف، الحوار وخصائص التفاعل التواصلي دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية، دار افريقيا الشرق، 2010.

المراجع بالفرنسية:

10. Dictionnaire critique de la communication Presses Universitaire Paris 1993
11. Dictionnaire Hachette : Communication Encyclopédie Hachette.
12. Enonciation de la subjectivité dans le langage
13. Essais de Linguistique générale
14. J.Habermas, Theorie de l'agir communicationnel,Trad .JM. Ferry, Paris, 1987,T.1
15. J.Habermas,L'Ethique de la discussion ,Trad .M.Hungadi,Paris, 1992 .
16. Théorie et analyse en linguistique.B.Pottier.

الفهرس :

العنـــوان	الصفحة
مقـدّمـــة	01
مدخل	06
الفصل الأول:المقاربة التواصلية للحوار في مسرحية الليلة الأخيرة	08
المبحث الأول: ميكانيزمات الحوار	10
المبحث الثاني: التقابل والتكامل	14
المبحث الثالث: المضمون والعلاقة	16
المبحث الرابع: الميتاحوارية	22
المبحث الخامس: الإنتاج والتأويل	27
الفصل الثاني:المقاربة التداولية للحوار في مسرحية الليلة الأخيرة	34
المبحث الأول: الاستعمال التداولي للغة	35
المبحث الثاني: التعددية السياقية	37
المبحث الثالث: خاصية التضمين	42
المبحث الرابع: مبدأ الاختلاف	44
المبحث الخامس: مفهمة الإنسان للعالم	46
الخاتمة	56
قائمة المصادر والمراجع	57
الفهرس	59